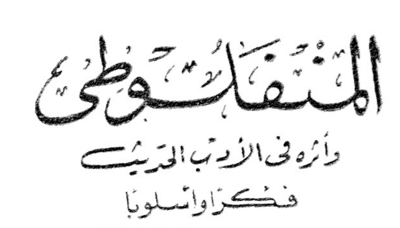


تأليف

عباس بيومي عجلان

دار لوران للطباعة والنشر ـ السيد خليفة
٤ صلاح الدين باسكندرية ت: ٢١١٢٢

المنفلوطي

وأثره في الأدب الحديث

فكراً وأسلوباً

تأليف

عباس بيومي عجلان

دار لوران للطباعة والنشر - السيد خليفة

٤٢ صلاح الدين بإسكندرية ت ٢١١٣٢٠

الإهداء

إلى الذين أمدونى بتشجيعهم ومؤازرتهم ، ومنحونى ـ فوق ما أستحق من مال ، وجهد ، ووقت ولولاهم لكان هذا الكتاب نسيا منسيا .

وإلى الذين يريدون أن يطفئوا نور الحضارة العربية بأفواههم ، وكلما علا صوت فيه أصالة ، عضوا عليه الأنامل من الغيظ . قل موتوا بغيظكم .

إلى هؤلاء واولئك إهدى هذا الكتاب .

عباس بيومى عجلان

مقدمة

تهتم الأمم ذات الحضارات برجالاتها الذين أسهموا فى بناء النهضة وتشييد أسسها . ولم يكن ذلك ضربا من الرجعيـة ، أو منحى من مناحي التخلف ، ولم تزل المطبعة تمدنا بالدراسات الجيدة والمتنوعة عن سوفوكليس ، اسخيلوس ، هومير ، وشكسبير ، وراسين ، وكورنى ، وشاتوبريان ، وهوجو ، وشعراء الرومانسية والرمزية والتعبيرية . . .

ولكننا فى مصر . أتى علينا حين من الدهر كنا نحسب إحياء ذكرى العظيم نكوصا ، وإقامـة تمثال لزعيم ردة ، وتأليف كتاب عن رائـد تخلفا ورجعية . . . ! !

وارتفعت أصوات منكرة تنادى بوأد الثقافة العربيـة والدراسات ذات الصبغة الجادة التى لاتنكر التطور ، ولا تكفر بالاصالة .

وكم جر ذلك من الويل والحرب على ثقافتنا وحضارتنا ، وغدونا نضرب فى بيداء من التيه الثقافى المصرى الذى يتخذ سمة لا تشاكله ويتحدث بلسان لا يعرفه ، ويقيم الأعمال بميزان وارد من مجاهل سيبيريا . . ! !

ومن هنا فرض على الأدب العربى والدراسات أنماطا من القول دخيلة ، وارتفع إلى سمـاء الشهرة أسماء فى عالم الأدب والفن ضحلة وهزيلة . .

خلقها المروجون والمرجفون ، وهتف لها من فى صدره دخل على حضارة الشرق . وتآزرت عوامل وعوامل .. لتجعل من الأقزام عمالقة ولكن هيهات فقد بار صنيعهم ، وكانت ثمرته ثمرة من ينفخ فى رماد ومن يتطلب في الماء جذوة نار . . ! !

وثمة ظاهرة أخرى في حياتنا الأدبية والثقافية ألا وهى ظاهرة التجمع والتناصر « الشلل » ومن المؤسف أن نجد لدينا من يعبدون الاسماء ، ويقدسون الأشخاص . . . ومن البين أن الثقافة لا تعرف العصبية ، ولا تؤمن بالتحزب المسرف . .

ونشأ عن ذلك شيوع بعض الكتابات التى تنقص من قدر أعلامنا لترفع من قدر من يتحدث الكاتب عنه ، وذلك زعم واه ، وحجة داحضة . وغدونا نقرأ كتبا يخال أصحابها أن رفعة شيخهم لا تكون إلا بالحط من قيمة سواه . . . ، وهذا تقليد لم يؤلف في حضارتنا كثيرا ولم يجر على سنن العلم وفضله . . . ! !

وترتب على ما أسلفت - وغيره - من أسباب أن ظن القارىء أن الأديب أو الفنان الذى يقرأ اسمه ويسمع صوته ، ويرى صورته هو القمين بالتقدير الجدير بالاجلال ، ونسى أو تناسى أن الشهرة كم تخلق من هالة زائفة ولربما لمع اسم أديب وليس لصاحبه من ألقابه ونعوته إلا النفاق والمين . .

ومن هنا شاع الضعف الابداعى ، ونما الفتور والخور لدى بعض الناس. وغدت حياتنا الثقافية ضربا من « البورصة » ونمطا من التلاعب والتهريج !

ولقد آن لتلك السحب أن تنقشع ، وحان أن ينأى عن بلاد الحضارة الشرقية كل مستهتر مثبط ، أو متعصب متزمت . . !

والمنفلوطى من الرجال الذين كانت لهم الريادة والسبق فى خلق المناخ الأدبى الحديث وتطوره .

وخليق بنا ـ ونحن نرنوا إلى النهضة ـ أن نعرف لكل ذى فضل فضله ونعترف لكل عظيم بما يستأهله من إجلال وإكبار . . !!

وما أنا بمنفلوطى النزعة ، وما كتابى عن الرجل غير الاعتراف له بما سلب منه ، والشهادة له بما يستحقه . فى موضوعية وحيدة ، وكل من حمل القلم ، وكتب مناخا ، أو مبينا ، أو منبها ، أو معلما بالعربية فهو تراث تجب العناية به ، والاهتمام بما كتب ، وان كنا لانواليه ونعتقده . .

وخليق بنا ونحن نتبوأ مكانة متميزة فى العالم قديما وحديثا أن ننأى عن الاسراف القبلى ، والمبالغة الاقليمية ، والزراية بمن نختلف معه أو يختلف معنا . . !

ولقد قدمت المنفلوطي الى القارىء بعد دراسة وتمحيص . وحاولت أن ألم بأدب ذلك الرجل الذى حاول بعض الدارسين أن يجعلوه منشئاً يعنى

باللفظ والصياغة . ومن هنا حرصت على أن أوضح أثره فى الفكرة . وفى الأسلوب . .

والمنفلوطى يحتاج إلى دراسات كثيرة ، ولا بأس على أديب أن يكتب عن أسلوب المنفلوطى ، أو شعر المنفلوطى ، أو المنفلوطى والمقال الأدبى . أو أثر المنفلوطى في القصة المعاصرة ، أو الأدب الدينى عند المنفلوطى . . أو النقد عند المنفلوطي . إلى غير ذلك من الدراسات الجيدة التى آمل أن يكتب عنها أدباؤنا . وما ذلك عليهم بعزيز . . وما توخيت في كتابى غير الصدق ، ولم ترهبنى عظمة العظماء ، ولا ضجيج التابعين لهم بغير إحسان . فتلك شنشنة أعرفها من أخزم . .

وعسى أن نكون قد رغبنا عن البهتان ، وأردنا أن ننتصف لأنفسنا ، ولم نعد بالذين إذا رأوا سبيل الغى يتخذوه سبيلا ، وإذا رأوا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا . .

فإن الحق أحق أن يتبع والزيف مهما علا وارتفع لا بد أن يقع ؟

عباس بيومى عجلان
الاسكندرية

المحتـــويات

أولا : الباب الأول

الفصل الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصـــل الأول

نسبه وموطنه :ـــ

هو السـيد / مصطفى لطفى المنفلوطى بن محمد حسن لطفى المنفلوطى ، ويثير اهتمامنا هنا كلمتا السيد ، والمنفلوطى ، والسيد مصطلح يطلق عادة على الأشراف فى مصر الذين ينتمون . إما إلى الحسن بن على أو الحسين بن علي رضى الله عنهم وعلى هذا فهومصطلح شيعى . وله دلالة مذهبية ونسبية .

أما المنفلوطي فنسب إلى (منفلوط) وهى عاصمةاقليم (مركز) من أقاليم أسيوط ـــ فى صعيد مصر . وفى هذا معرفة بمكان ميلاده وتربيته ولأسرة أديبنا مكانة كبيرة فى تلك المدينة (فقد نبغ ـ فيها الأسرة ـ من نحومائتى سنة قضاة شرعيون ونقباء أشراف).

ولا ريب أن لتلك الأسرة من العادات والأعراف ولبيئة المنفلوطى من الضوابط والقيم ما سيسم أديبنا بطابعه . ويخلع عليه ما يخلع من صفاته ١ ـــ

ومن العجب أن تجد اختلافاً فى تحديد تاريخ ميلاد المنفلوطى.إذ يزعم خير الدين الزركلى أنه (ولد فى ١٢٨٩ هـ الموافق ١٨٧٢ م) على حين تذكر لنا النظرات ـ وهى أقرب الى الصدق ـ أن المنفلوطى ولد فى عام ١٢٩٣ هـ

١ ـــ الاعلام . الزركلى ج ٨ الطبعة ص ١٤٥

٢ ـــ المرجع السابق .

الموافق ٣٠ / ١٢ / ١٨٧٦ م (١)

ونشأة المنفلوطي لا تختلف عن نشأة أترابه من أولاد الريف المصري فقد ذهب الى الكتاب ليتعلم مبادىء القراءة والكتابة وليحفظ القرآن وليستعد للذهاب إلى الجامع الأزهر منارة العلم وكعبة القصاد من طالبي المعرفة ومبتغي الثقافة في تلك الأيام (٢)

وفي منفلوط تلقى الرجل أول مبادىء القراءة في كتاب الشيخ جلال الدين فحفظ القرآن الكريم ولاقى في المكتب ما لاقاه أترابه ومن على شاكلته (من المترددين على تلك المكاتب) وفي منفلوط تنسم أول عبير الأدب . وذاق من سلافة الشعر ما ذاق حينما تردد وهو صبي على الأستاذ عبدالله هاشم (٣) وهو رجل كان محباً للادب عاملا على اشاعته بين زائريه .

ولقد تعرض المنفلوطي وهو صبي لأحداث جسام أثرت في حياته وكان لها أثر في وجدانه وعاطفته . ولعل من أهم تلك الأحداث ذلك النزاع الذي نشب بين والديه واحتدم ، ولم تجد معه تلك المحاولات التي بذلت لرأب ذلك الصدع وأدى الأمر الى الطلاق فذاق الصبي مرارة البعد وتجرع أفاويق الحسرة . ومما زاده أسى ولوعة وجبله على الحزن والدمعة ان والدته بعد أن بانت من أبيه تزوجت من رجل غريب يقيم ، غير بعيد ويقطن في بلدتهم . (٤)

---

(١) — مقدمة النظرات ص ٩ سنة ١٩١٠م

(٢) — يراجع في ذلك ما كتبه طه حسين في ج ١ من الأيام.

(٣) — مقالة الأستاذ الطناحي . الهلال ديسمبر ١٩٥٤م

(٤) — الأديب الاشتراكي . محمد شلبي ص ٢٢ .

ولكن المنفلوطي كان بعد العدة ليجاور في الأزهر فمضى لا يلوي على شيء حتى ظفر بما يبغي ودخل الأزهر ، وإذا كان الرجل لم يحظ بالهدوء ولم ينعم بالاستقلال في بيته فان حياته في الأزهر كانت مفعمة بالأسى مليئة بالمفارقات والعجائب (١)

وفي القاهرة ارتبطت حياته بثلة من الأزهريين الذين أثروا في الحياة العامة من أمثال ـ سعد زغلول واندادة وتستطيع أن نقول في اطمئنان أن حياة المنفلوطي ذات وشائج ثقافية بالاستاذ الإمام ، وظيفية بسعد باشا وصحافية بالشيخ على يوسف وأسرية بزوجه الأولى .

وحضر المنفلوطي دروس الأستاذ الامام محمد عبده بالأزهر وكان وحي الله كما يسميه الزيات يختص المنفلوطي بمزيد من رعاية واهتمام ،ويبث فيه حب الأدب والاكثار منه ، ولقد أدى هذا الحدب بالمنفلوطي الى الاعتماد عن جاه الأستاذ الامام وفت في عضده ففترت همته في تحصيل العلوم الأزهرية حتى أخفق في نيل الشهادة الأزهرية .

يقول الأستاذ أحمد حسن الزيات (المنفلوطي لا يعمل جاداً لشهادة الأزهر وإنما كان ـ يعتمد في نيلها على جاه الامام (٢)

وكان الرجل يكن للامام من الحب والإعجاب فوق الكثير ويتبدى ذلك جلياً في حرصه على أن يكون منفذاً لسياسة الأستاذ الامام في الأسلوب، وطريقة الكتابة ومعالجة قضايا الدين والوطن ـ كما رسمها له أستاذه . ولسوف

---

(١) ـــ النظرات المقدمة ج ١

(٢) وحي الرسالة ، للزيات ج ١ ص ٣٨٩ ط ٦ مكتبة النهضة

نعرض لعلاقته بالشيخ محمد عبده في حديثنا عن ثقافته :ـــ

حالته الاجتماعية :ـــ

لقد انحدر المنفلوطي من أسرة عريقة في التدين ذات نسب وحسب فأبوه شريف حسيني حريص على قيم وتقاليد، وأمه سيدة من أسرة الشوربجي التي تنتمي الى الارومة التركية .

ولقد أشرت الى أن حياة والديه الزوجية لم تكن مستقرة وانتهت بالطلاق البائن ولا ريب أن تلك البيئة من الأثر ما سوف يترك كما أشرنا آنفاً سمات خاصة لدى أديبنا ، فالايمان الجم والولع بالأمور الدينية والإقتداء بالسلف كل ذلك كان من خلائق المنفلوطي (كان منشىء في قوم بداه سذج لا ينتفعون بدينهم دينا ولا بوطنهم وطناً) ١

ولقد أثر فراق والديه في خلاله تأثيراً كبيراً فلم يكن يحب المحافل وإنما آثر العزلة وأحب الانطواء والتفرد لا يجارى متحدثاً ولا يمارى أحــدا إلا مراء ظاهرا ، يتحفظ في حديثه ويتوجس شرا إذا تحدث أو خطب (كان صحيح الفهم في بطىء سليم الفــكر في جهد دقيق الحس في سكون هيوب اللسان ـ في تحفظ ، وهذه الخلال تظهر صاحبها للناس في مظهر العي الجاهل

(١) ـــ النظرات ج١ الطبعة الأولى .

(٣) ـــ وحي الرسالة ج ١ ص ٣٨٧ ط ٦ مكتبة النهضة.

ومرد ذلك فى نظرى الي أثر التربية الأولى وبقية من بقايا النشأة وا كبته طوال حياته (فهو لذلك يتقي المجالس ويتجنب الجدل ويكره الخطابة) ١

وعلى عادة القوم فى تلك الأيام تزوج المنفلوطي وهو صبي من سيدة تكبره وربما كان فى اثرائها ما يغرى أولى أمره باقدامهم على ذلك المركب الوعر واقترن مصطفى لطفى المنفلوطى الطالب بالأزهر بالسيدة / آمنة محمد أبو بكر الشيخ والتى كانت ناظرة على ثلاثمائة فدان وتمتلك سبعين فدانا ، (٢)

ولقد أسفر الزواج عن خمسة من الولدان ماتوا جميعاً . وتوفيت زوجه تلك فى سنة ١٩١٠ م وورث منها ما ورث .

والمنفلوطي حياته جـــدية مقفرة تأزه بألمها ، وتمضه بيأسها وتتركه نهب الظنون ونستطيع أن نفهم ماتنطوى عليه نفس المنفلوطى اذا قرأنا له

أن عيش المرء فى وحـدته	خير عيش كامل ، غير هناء
فالورى شر وهم دائم	وشـقاء ليس يحكيه شـقاء
وفقـير لغنى حاســد	وغنى يستذل الفقـــراء
أن عيش المـرء فيهم ذلة	وحيـاة الذل والموت سواء

وعلى تلك النغمة الحزينة عزف الرجل الآلام فى شجن ، وتحدث عن بثه فى أسى ، معربا عن فؤاد مكلوم ونفس خازية .

---

١ ـــ وحى الرسالة . الزيات ج ١ ص ٢٨٧ ط ٦ مكتبة النهضة .
٢ ـــ الأدب الاشتراكى . محمد شلبي ص ٢٣
٣ ـــ الكواكب والمواكب ص ٤٦ . محمد محمد عبد المجيد .

ومن كان ذا نفسى كنفس قريحة — من الهم ـ لا يعنى بوصل ولا هجر
كأنى ولم أبلغ ثلاثين حجـة — اذا ما مشى فى السهل فى جبل وعر
اذا شاب قلب المرء شاب رجاؤه — وشاب هواه وهو فى صحوة العمر
حييت بآمال فلما كذبتنى — قنعت فلم أحفل بقل ولا كثر
جزى الله عنى اليأس خيراً فانه — كفانى ما ألقاه من أمل مر

وكان لزاماعلى الرجل أن يقترن بامرأة أخرى ، وفى هذه المرة تزوج من القاهرة حيث يقطن فى شارع أم الغلام بالحسين ولعل زواجه فى ذاك كان موفقاً فالسيدة رتيبه حسنى القاهرية تعرف قدر زوجها وتؤمن بما لديه من موهبة وتكلؤه وترعاه ولقد أنجب منها خمسة أبناء .

وكان المنفلوطى فى حياته العائلية كما يقص ابنه حسن رفيقا بأهله رحيما ودودا ، يبث فيهم الهمم ، ويحضهم على الفضائل وكم اصطحب أهله إلى المسرح وأذن لهم فى ممارسة بعض الأنشطة . والمنفلوطى الحسينى لا يجد بدا من ممارسة الاساليب المتبعة التى ينحدر منها والتى سوف تؤثر فى تركيبه الجسمانى ، وتخلع عليه من قوانين الوراثة ما تخلع ـ فالرجـــل صعيدى عربى ، فهو متين البنيان عريض المنكبين ، تبدو عليه ملامح الفتوة وهذا ميراث أبوى ، أما والدته التركية ، فقد ورث منها الوجه المشرق ، والقسامة والملاحة ولون البشرة والعينين ، وربما بعض الخلال التى تمت الى التزمت والتريث ، يصفه الزيات ـ وصفا بليغا حين يقول (رجل مجتمع الأشد ، مربوع الخلق ، ممتلىء البدن ، غليظ الشارب ، حسن السمت) (١) .

---

١ ـــ وحى الرسالة ج ١ ص ٦٣٧ ط ٦.

ثم هو بعد ذلك متواضع شديد التواضع ، لا يخالطه كبر ولا يجتنفه عجب ، ونعته الاستاذ طاهر الطناحى قائلا . (كان السيد المنفلوطى متواضعا رقيق الحاشية هادىء الطبع فكنت اذا أجلست إليه تشعر بهدوء ورضا) (١) .

واذا كان مظهر المرء وعلانيته ينم عن مخبره ومحتواه فان المنفلوطى كان جميل البزة ، حسن الشارة ، أنيقا فى غير اسراف ، مهيبا فى غير تبذير ، لا تقع العين منه على مايؤذى ولا تسمع الاذن منه مايمج ، ويستقبح لأنه (قطعة موسيقية فى ظاهرة وباطنة ، فهو مؤتلف الخلق متلائم الذوق ، متناسق الفكر ، متسق الاسلوب ، منسجم الزى ، ولعل من اليسير ان يدرك الانسان أثر شخصية المنفلوطى الجميلة المنسقة على اسلوبه الرشيق وطريقة ترسله المنمقة) (٢)

مناصبه :

لم يكن المنفلوطي يلي منصبا ذا حظوة قبل ان يتصل بصديقه سعد باشا زغلول ومن اليسير ملاحظة الرجلين وظيفيا ، فسعد باشا عندما يعين فى نظارة المعارف يجد المنفلوطى وظيفة في تلك النظارة ، سنة ١٩١٩ م ، وعندما يغادر سعد باشا تلك الوزارة ويتبع الحقانية ينخرط المنفلوطى في الحقانية عام ١٩١٠م ، ووقتا يدع سعد باشا تلك الوظيفة يدعها المنفلوطى ـ ويظل هائما حتى اذا رأس سعد الجمعية التشريعية وجد المنفلوطى وظيفة بها عام ١٩١٣ م . ويظل الارتباط وثيقاً حتي اذا بزغت ثورة ١٩١٩م وترأس سعد باشا مجلس النواب الفى المنفلوطى

١ ـــ مجلة الهلال ديسمبر سنة ١٩٢٩ .

٢ ـــ وحي الرسالة ج ٦ ص ٣٨٧ ط ٦ .

نفسه ذا منصب في سكرتارية مجلس النواب ، وظل الرجل يمارس نشاطه ويؤدي واجبه في حيوية .

وكان لابد لتلك الحياة العريضة النشطة أن تترك أثرا على الرجل ولقد أصيب المنفلوطى قبيل وفاته بشهرين بالفالج ، وتوقف نشاط جزء من جسده ، وحينما أوشكت منيته أصيب بتسمم بولي (بولينا) قبل وفاته بثلاثة أيام ، وقضى الرجل نحبه في يوم السبت ١٢ / ٧ / ١٩٢٤ م ومن العجب أن يكون ذلك هو يوم الاعتداء على سعد باشا . ولذا لم يجد أمير الشعراء في رثائه غير قوله

اخترت يوم الهول يوم وداع ونعاك في هوج الرياح الناعى

ثقــافته :

نجد لزاماً علينا أن نعرض لثقافة الرجل الذى نتصدى للحديث عنه ، لأن الكشف عن مناحى ثقافته ومصادرها ، سوف ينير السبيل الى معرفة عوالم المنفلوطى ومناطق اجتهاده ، ومن الغبن أن نحاول معرفة أثر الرجل فى أدبنا ومن غير أن نقف على تكوينه الثقافى ونوع المدد الذى يأتيه .

ولعل أول رافد من روافد الثقافة التى أمدت المنفلوطى بمعين هو القرآن ففيه تقويم للسان . ودربة ومران للجهاز النطقى .

ولما آنس فى نفسه قدرة على الفهم والتذوق شرع يقرأ ويستمع الى الأدب الشعبي الذى كانت له السيطرة والذيوع آنذاك . ولا سيما السير والوقائع الحربية من أمثال سيرة سيف بن ذى يزن ، وعنترة بن شداد وابى زيد الهلالى ، والزناتى خليفه ، وقصص ألف ليلة وليلة ، وتكاد تكون تلك القراءات هى النافذة الأولى للابداع الفنى والخيالى التى يطل منها الصبي المصرى

في تلك الفترة على عالم آخر مجهول ومفقود .

يقول المنفلوطي . (كنت أنعم في صباي بكثير من الملاذ الوهمية الكاذبة . فكنت أجد في نفسي غبطة عظمى حينما أجلس لمطالعة ألف ليله وليلة أو سيرة سيف بن ذي يزن ، أو حروب عنتره ، أو وقائع أبي زيد ، أو أساطير الجن والشياطين .) ١

ويكلف المنفلوطي بالقراءة . ويجد سلوته في منادمة الكتاب ، وكثيراً مايكون الكتاب أحسن صدر يضم الانسان ، وأرق قلب ينبض به وأهنأ حبيب يأوى اليه المرء المكدود المتعب.

ويجد المنفلوطي في الكتاب ضالته ، ويقع فيه على ما ينشده ، فتزداد المحبة ويتعمق الود (لم تكن ساعة من الساعات أحب الى ، ولا أثر عندى من ساعة أخلو فيها بنفسي ، وأمسك على بابي ، ثم أسلم نفسي الى كتابي) ١

والأدب داء عضال متى تمكن من انسان فلا يستطيع عنه فكاكا ، يأمره فيأتمر وينهاه فينتهي ، ويشهر عليه فلا يخالف له أمرا . يملك عليه زمام نفسه ، ويقوده الى حيث يشاء ، والأديب في كل ذلك مذعن طيع ، لا يضجر من تبعية، لا يسأم من غل ، وكأنما راحته وسعادته في مزيد من تحكم ومدد من سيطرة.

ولا يداخلنا عجب اذا قرأنا أن فلانا الاديب كان يشترى بما معه من نقود

---

١ ـــ النظرات ج ٣ ص ٢٣٥ ط ١٤ ـــ المكتبة التجارية .

١ ـــ النظرات ج ١ ص ٥

كتابا، يظل طاويا خاويا . ويبتاع صحيفة ولا يستر جسده ، ويقتني مجلدا ولا يعالج ، أولئك هم الادباء الذين أصابهم جنون الأدب . وتالهم مس منه فغدوا لا يعشقون غيره ولا يحبون سواه ـ ومن هؤلاء مصطفى لطفي المنفلوطي الذي يقول ـ وهو صادق . أحببت الأدب حبا جما ملأ بين جانحتي) (١)

وعندما التحق بالأزهر الشريف اصطدم بمناهج بالية ومقررات لا تغني فتيلا ولا تفيد شيئا ، ومنى بأساتذة أحسن ما فيهم زيهم التقليدى ، لا يعرفون من أمور دينهم إلا جملا معترضة . وقضايا جدلية تورث الضغائن ، وتشعل الفتن ، وتوقد نار العداوة والبغضاء ، وهم أعداء لكل فكر يتربصون بالشعراء والأدباء الدوائر ، ويقفون منهم موقفا مخزيا مريبا .

ولقد كان المدرسون فى الأزهر يوقفون بكل طالب تبدو عليه مخايل الفن ، ويظهر لديه ميل الى الشعر أو النثر . وكلنا ـ كل من دخل الأزهر ـ ذاق جحيم تلك الحملات النكراء التى كان يشنها مشايخنا رحمهم الله على من يضبط لديه كتاب من كتب الأدب ، أو صحيفة من صحائفه (وكثيرا ما كانوا يهجمون منى على مالا يحبون ، فاذا عثروا في خزانتي أو وسادتي . أو بين لفائف ثوبي على ديوان شعر أو كتاب أدب ، خيل اليهم أنهم قد ظفروا بالدينار فى حقيبة سارق . فأجد من البلاء بهم والغصص . بمكانهم مالا يحتمل مثله مثلي) ٣

---

١ ـ النظرات ج ١ ص ٥

٢ ـ المرجع السابق ج ١

٣ ـ المرجع السابق

وعلى ذلك فكل من لديه قريحة أو له ذوق فعليه أن يشق طريقاً غير معبد، ويتصدى لهوج الرياح، ويبنى ذاته ويثقف نفسه، فالثقافة فى الأزهر لا قيمة لها أو على الأقل لا تخرج أديبا، ولا تعين طالباً، وذلك مرده إلى نظرتهم الى الأدب، وموقفهم منه.

« ولم يكن حولى لذلك العهد ممن يستعين بعثلهم مثلى على الأدب أحد، لانى كنت أعيش فى مفتتح عهدى به ــ الأزهر ــ بين أشباح أزهريين من الطراز القديم. لا يرون رأيى فيه، ولا يتعلقون منه بما أتعلق فكانوا يرون أن التوفر عليه أو الالمام به عمل من أعمال البطالة والعبث وفتنة من فتن الشيطان) ١ .

وإذا كان مشايخ الأزهر أيام المنفلوطى فى نهاية القرن التاسع عشر يعتبرون الالمام ــ بالأدب من أعمال البطالة والعبث فانما هم تابعون لسلفهم، وسائرون على ــ سنن من تقدمهم من مشايخهم، فالشيخ العطار وهو عالم كبير من علماء الأزهر فى بداية القرن التاسع عشر يقول معرفاً الأدب « الأدب فن علوم أهل البطالة » ٢ وهذه الصورة لا تختلف كثيراً عن تلك اللوحة التى رسمها أستاذنا الدكتور طه حسين رحمه الله عن الأزهر فى تلك الحقبة أو بعدها بقليل(٣)

ومن المؤسف أن الأزهر الذى ناصب الأدب العداء أخذ على عاتقه أن يعادى

١ ــ مقدمة النظرات ج ١ ط ١٤ المكتبة التجارية .

٢ ــ حاشية العطار على همع الهوامع ج ١ ص ٢٤٤ .

٣ ــ الأيام ج ١

كل محاولة جادة للاصلاح ولو كانت محاولات دينية خالصة .

وتاريخ الأزهر في تلك الفترة قمين بالدراســة المنصفة الأمينة . لما له من أثر راسخ وطابع مميز في حياتنا الثقافية والفكرية في تلك السنين ولا أدل على ما نزعم عن العقلية الأزهرية آنذاك من أنهم وقفوا في وجه الشيخ مصطفى العمروسى سنة ١٨٧٦ م وهو فقيه شافعى ،تولى مشيخة الأزهر سنة ١٢٨١ هـ وكان شغوفاً باهدار ما رآه من بدع ليست من الدين فى شىء فألغى الشحاذة بالقرآن الكريم . ومنع قراءته في الطرق . وانتوى عقد امتحان للمدرسين في الأزهر ،فخافته المشايخ والطلبة .وعزل من مشيخة الأزهر سنة ١٢٨٧ هـ . وذلك يوقفنا على مدى ما وصــل اليه مستوى التفكير الأزهرى ، وما انتهت اليه الثقافة الأزهرية

ومن هنا لا نعجب اذ قرأنا عن ذلك الحب ولإعجاب الذى يكنه طلاب الأزهر والمصريون الذين لديهم امــكانات ثقافية لاســـتاذهم الامام الشيخ محمد عبده .

فانه قبس يضىء فى سدفة العمى ، وقمر منير فى حلكة الليالى السود.

والشيخ محمد عبده من الذين عنوا ببعث التراث ، وشارك فى ذلك بتحقيقه لمقامات البديع وكان يقيس كفاية الطالب بمقاس (سيبويه) لا بمقياس أبى حنيفة . على حد تعبير الزيات (١) ولربما لمح الاستاذ الإمام فى المنفلوطى مخايل تفوق فهداه ســواء الصراط . وأخذ يلج به أبواب المعرفة . ويوقفه

---

١ وحى الرسالة ج ١ ص ٣٨٩

شوامخ الأعمال الأدبية التى تصقل موهبته وتبرز كوامن تفوقه ، وتعهده بالرعاية والتهذيب فكان الامام « يقربه المنفلوطى ـ ويرسم له الطريقة المثلى للغاية من الأدب ، والحياة » .

وعثر المنفلوطى على ما يبغى فاسلم نفسه لكتب الأدب ، وعب فى فهم ما كتبه الجاحظ وأبو هلال العسكرى ، والخفاجى ، وابن عبد ربه ، وابن رشيق والحريرى وعبد القاهر ، وبديع الزمان الهمزانى ، وضياء الدين بن الاثير ، وغيرهم . كما استظهر بعض شعر اسلافنا ، ووقف على دواوين المتنبى . والشريف والمعرى ، وشعراء الحماسة ، وبعض الشعراء الجاهليين .وتكونت بذلك الزاد ثقافة عربية ذات أصالة ورحابة ، يمدها بما يرغب خير منظوم العرب ومنثورهم فعاش وخياله يسبح معهم ، ولسانه يهزج بأساليبهم . وعاطفته تجيش بتمجيد ذلك التراث . والعمل على احيائه وبعثه ، وظل يرود القول ويحاول محاكيا نماذجهم التعبيرية ، ومزاجهم الفكرى حتى صلب عوده واستوى على سوقه ، فكانت تلك النصوص التراثيه زاده الثقافى ، ومعينه المعرفى ، وميراثه الفنى.

وبعد المنفلوطى بصره فاذا هو بأنماط أدبية جديدة تغزو الفكر العربى ، ووسائل ـ تعبير طريفة تقتحم على الناس حياتهم ، وفنون عصرية تحدث وتجد ، لم يكن للعرب بها من عهد ، ويحاول الرجل أن يصنع شيئاً وأن يضيف إلى زاده زادا وإلى قوته قوتا ، فيزمع على معرفه لغة أجنبية حتى يتسنى له نقل تلك الأعمال الفنية نقلا عربياً خالصاً . ويجنب النشىء مغبة تلك الترجمات التى يصنعها ذلك المترجم المولع بالعامية / محمد عثمان جلال .

ونحن لا نستطيع أن نجارى الأستاذ / الدكتور / شوقى ضيف حين يزعم أن المنفلوطى (كانت ثقافته ضيقة)(١)

فالرجل يؤدى دوره فى الأدب العربى . ويكتب بلسان عربى مبين . ومن العيب الا يعرف اللغة التى يكتبها معرفة جيدة ، ومن الخطل الا يقف على أسرارها ومكوناتها وليس من النقص المبين الا يتقن لغة أجنبية ما دام يعرفها معرفة تمكنه من القراءة بها ، وما ظل يقرأ امهات الأدب ـ الاجنبي ويتابعه فى مترجمات جيدة.

ولا يضير الأديب المبدع فى شىء إلا يتعمق فى دراسة لغة ، أو فهم فلسفة . فكم من أدباء أدوا رسالتهم فى إبداع وسجاحة . وهم لا يعرفون غير لغتهم . وكم من أديب عرف لغات شتى . ولم يزده ذلك إلا رطانة لسان واكتساب مفردات لغوية دون تأثير فعال فى فنه أو خلقه الإبداعى .

ولكن المنفلوطي إيماناً منه بجدوى الاطلاع على الأنماط الأدبية الاجنبية آثر الاستعانة ببعض معارفه ممن يتقنون اللغة الأجنبية ثم يتصدى بعد ذلك لصياغة تلك الأعمال صياغة عربية مشرقة تخلب القارىء وتجذب المتلقى وتخلق جمهوراً أدبياً متذوقاً . ولم تقتصر ثقافة الرجل على إدمان القــراءة ومواصلة الإطلاع . ولكن ثقافته كانت ـــ بعد هذا أرحب وأشمل فلقد أضاف الرجل إلى ما لديه من معرفة ثقافة أصدقائه ويمكننا القول فى ارتياح غير مبالغ فيه ،أن ثقافة المنفلوطي في وقت ما . كانت تلبية لرغبــة الإمام ،

(١ ـ الادب العربى المعاصر فى مصر ص ٢٠١ ط الاولى . دار المعارف.

وتنفيذاً لسياســـة ، وفى وقت ما كانت لاذكاء روح معين أوحى بها اليه صديقه سعد باشا . وقد كانت في حين استجابة لتصور الشيخ على يوسف، وكم لأولئك الرجال من أثر في تكوين ثقافته . وترجيهها وجهة خاصة » وتلوينها بلون معين« فالإمام المجتهد محمد عبده ، والسياسى الخطيب سعد باشا ، والصحفى الكاتب على يوسف كانوا أقوى العناصر في تكوين المنفلوطي الاديب (١)

والمطلع على آثار المنفلوطي الأدبية . يشعر بمدى تنوع ثقافته، فهو يعالج موضوعات اجتماعية ويناقش قضايا فكرية ، ويبحث في سائل تعليمية وفنية وخير ما يغنى في تلك المسألة كتابة القيم النظرات بأجزائه .

وعلى ذلك فالمنفلوطى يمثل الثقافة العربيه الأصيلة في أزهى عصور اللغة قوة واقتداراً . وقد أمدته روافد أجنبية ذات عطاء فأينعت وآتت أكلها وظهر جلياً ـ ذلك التجانس الخلاق ـ بين حضارتين فلم يأل جهداً فى متابعة أحدث الإنماط الأدبية طرافة . محاولا علاجها وصياغتها مستغلا في ذلك ما تيسر له من معرفة ، وما أتيح له من فكر .

١ـ وحى الرسلة . ص ٣٨٨ ج ١

الفصل الثانى

عصره ومجتمعه :-

لقد نما المنفلوطي في عصر يعج بالأفكار المتضاربة ، ويشهد صراعا محتدما بين حضارتين ،حضارة طارئة وافدة قدمت مع الحملة الفرنسية على مصر سنة ١٧٩٨ م ومع لفيف من علماء فرنسا وبعض الغربيين الذين استقدمتهم السلطة آنذاك في مفتتح القرن التاسع عشر الميلادى،وحضارة عتيقة كامنة فى ضمير أمة قد انصرفت عن تاريخها ، أو قدر لها أن تنصرف ، وهذا الاحتكاك والتنافس هو الذى خلق النهضة التي عاشها مجتمعنا فيما بعد وأنجب ذلك الازدهار الذي أينع وأثمر .

ومن المعروف أن المنفلوطى نشأ فى عهد اسماعيل باشا خديوى مصر . ولقد يكون لاسماعيل باشا أخطاء سياسية . ولكنه دفع بالتعليم والثقافة إلى الأمام ومنحهما مزيداً من رعاية . وأعاد إلى الحياة المصرية الثقافية وجهها المشرق بعد أن منى الشعب بحاكمين من قبله تمردا على الثقافة وبطشا بكثير من المنشئات التى أقيمت .

فلقد أغلق عباس الأول . المدارس - ولم يبق - حتى - على مدرسة الألسن ولم يكتف بذلك بل انه تمادى فألغى البعثات المصرية . واستدعى أفرادها من الخارج . وبلغ به تعنته إلى نفي رفاعة الطهطاوى فى السودان حتى إذا جاء سعيد باشا ألغى أيضاً - ديوان المدارس . وأوقف حركة الترجمة والنشر ، وأغلق مطبعة بولاق . ولكن اسماعيل - نتيجة لتربيته ونشأته وميوله أحيا

المنشئات الثقافية ، وأعاد البعثات إلى أوروبا ، وفتح المدارس التي أغلقها سلفاه وفى عهده تم افتتاح أول مدرسة للبنات ، وأنشئت دار الكتب سنة ١٨٧٠ م — ودار العلوم — كلية دار العلوم سنة ١٨٧١ م وكان وراء إنجاح هذين المعهدين على باشا مبارك أبو التعليم المصرى الحديث، وفى تلك الفترة المليئة بالأحداث الثقافية بدأ يلمع فى الأفق تكوين الجمعيات الأدبية والمنظمات الفكرية وعلى هدى من ذلك تأسست جمعية « اتحاد الشبيبة المصرى ١٨٧٩ م (١)

وكان لزاماً على أولى الأمر أن يتصدوا لدرأ ذلك الخطر الداهم الذي يهدد الأمة وتمخضت الآراء والأفكار عن حركة احياء ، وتنفخ الروح فى ذلك العملاق الرابض في خزائن الكتب وأضرحة الأولياء . وحتى لا ينبهر النشء بالوميض الأخاذ الذى ينبعث من الثقافة الغربية — الوافدة فلا بد من اذاعة كتب التراث وبعثها وبذل الجهد فى بثها وذيوعها بين الشبيبة حتى يحدث التوازن ، وتقل حدة التبعية ، وإيماناً بالدور العظيم الذى قامت به الحضارة الاسلامية واعتزازاً بالخدمات الجليلة التى منحها العرب للعالم فى عصور تفوقهم ارتفعت الأصوات مطالبة بالإفراج عن ذلك التراث ، وتكونت نتيجة لذلك (جمعية المعارف) ١٨٦٨ م وأخذت على عاتقها نشر روائع التراث وبعثها ومن أهم الكتب التى أنجزتها (أسد الغابة)، وشرح التنوير على سقط الزند ، والبيان والتبيين وتاج العروس ، وتاريخ ابن الوردى.

واطردت النهضة الثقافية لتشمل الصحف والمجلات ، وساعدت على خلق وعي ثقافي ونشاط فكرى رحيب ، ومن الصحف التى رأت النور فى تلك

الفترة (اليعسوب) ، وروضة المدارس « ثقافه نصف شهرية . » ووادى النيل « لعبدالله مسعود »ونزهة الأفكار «لابراهيم المويلحي ومحمدعثمان جلال، والوطن لميخائيل عبد السيد « وأبو نضارة » ليعقوب صنوع . . كما أصدر الشاميون فى مصر صحفاً منها (الكوكب الشرقى) سليم الحموى، والاهرام سليم بشارة تقلا ، «ومصر» ، «والتجارة» لأديب اسحاق وسليم نقاش(١)

وهكذا كانت تلك الفترة التى قضاها المنفلوطى صبياً . فترة يقظة وانتباه تمور بالأحـــداث الثقافية ، وتعج بالنشاط الثائر ، وتمتاز ـ فيما تمتاز بهـ بأخراج التراث . وتشجيع المواهب الجديدة . والترحيب بكل ابداع يقدم ، والسماع للرأى المخالف بالنشر والاذاعة كل ذلك حفز الشباب وأيقظ الهمم . وخلق بين ذاك الجيل روح التنافس الخلاق وحضهم على الابداع والابتكار والتفكير الحر الجرىء ، ولقد عب المنفلوطى من ذاك المنهل ورأى فيه أحلامه ومناه ،فعكف على قراءة تلك الأعمال العظيمة فى استيعاب وتمثل ، وصادفت هذه الكتب والدواوين هوى فى نفسه . وأمدته بفيض عميم أكثر مما وهبته الثقافة الأزهرية من معرفة وما منحته إياه من عطاء .

وفي تلك الفترة ـ أيضاً منيت مصر بالاحتلال البريطانى وقدر لحركة عرابى الانهيار وحوكم من اشترك معه ومن له أدنى صلة بمقاومة الاحتـلال وعاشت البلاد فترة رهيبة كئيبة مشحونة بالتوقيع والتربص.ولم يكن الأدب فى تلك الفترة بعيداً عن الساحة ـ وإنما ظل ـ كما كان ـ مقياساً صادقاً لنبض الحياة ،فاسماعيل صدقى باشا رغم ما له حسنات ـ انتابت مصر فى أيامه ـ

(١) تاريخ آداب اللغة العربية ـ جورجى زيدان ج ٤ ص ٥٧

نكبات وهموم فاستحق السخرية والاستهجان ونال من الشعراء مايستوجب من هجوم يقول صالح مجدى . تلميذ رفاعه الطهطاوى . يحرض المصريين على اسماعيل .

رمى بلادكم في قعر هاوية من الديون على مرغوب (جوسيار)
وأنفق المال لا بخلا ، ولا كرما على بغي — وقواد ، وأشرار .
والمرء يقنع في الدنيا بواحدة من النساء ، ولم يقنع بمليار .
ويكتفي ببناء واحد . وله تسعون قصرا بأخشاب وأحجار(١)

واذ يشن صالح مجدى تلك الحملة على اسماعيل يضحك صفوت الساعاتى من أشياخ أزهريين ناقدا إياهم ، راسماً صورة قبيحة ذرية ، تثير من الاشمئزاز والعجب ما تثير .

إذا ارتفعت بالنحو أعلام علمنا جعلنا جواب الشرط حذف العمائم
ليعلم من بالنصب يرفع نفسه بأن حروف الخفض غير الجوازم .
ويعلم من أعياه تصريف اسمه بأنا صرفناه . كصرف الدراهم
نصبنا على حال من العلم والعلا وكنا على التميز أهل المكارم .
لأنا رأينا كل ثور معمم يكلف قرنيه بنطح العمائم
يجر من الادلال فضل كسائه كأن الكسائى عنده غير عالم
اذا نظر الكراس ، حرك رأسه وصاح أزيد قام . أو غير قائم
وجمعك للتكسير اسم اشارة كقولك نام الشيخ فوق السلالم (١).

---

١ — ديوان صالح مجدى ص ١٨٠ .

(٢) ديوان الساعاتي ص ١٧٢

وكان الشعب المصرى فى القرى والنجوع يعيش حياة ملؤها الارهاق والاذلال فالمرابون فى كل مكان . والبنوك تستولى على المحاصيل ، والحانات والخمارات تغزو القرى . وتقضى على البقية الباقية من شهامة ورجولة . ومن هنا فقد كان عصر المنفلوطى عصراً مليئاً بالأحداث مفعماً بالتيارات فيه العديد من الأعمال الايجابية ، والكثير من السلبيات والمعوقات ، فهو عصر حيرة وقلق واحتدام ،فالاجتياح الأوربى جاد في عزمه ، والثقافة الغربية تجـذب فى أسر شـــديد النشء وتستولي على مشاعرهم ،والديون المصرية تزداد وتتفاقم ، والفلاحون في القري يعانون ويكدحون بلا جدوى . والمثقفون لا يدرون إلى أين يتجهون بفكرهم . وكيف يواجهون هذه الأحداث الجسام وهذا العصر وما نجم عنه ، هو الذى سيؤثر على أدبنا الحديث واتجاهه وأغراضه، وهو قمين بدراسة مفردة مستفيضة .

الادب فى بداية هذا العصر

لقد مرت اللغة الأدبية بفترات تذبذب فيها مستواها ما بين قوة وفسـولة ويمكن اعتبار مستوى اللغة الأدبية مقياساً لحضارة ومكانة المجتمع الذى صدرت عنه تلك اللغة .

وكم عانت لغتنا العربية قبل النهضة الحالية ما عانت من ضعف وامتهان وتكلف واستكراه وغدت اللغة الشاعرة لغة حواة وحيل، جل ما فيها محسنات وأصباغ وصليل حروف وعجيج ألفاظ وتاريخ اللغة فى العصر المملوكى والعثمانى يفتقر إلى جهود متضافرة مخلصة تتآزر للكشف عن خباياه وأسراره واستمرت تلك الفسولة ردحاً من الزمن ـ وما زلنا نعانى بعض آثارها حتى

الآن ولعل خير من — يعرب لنا عن مستوى اللغة في بداية القرن التاسع عشر الميلادي هو الشيخ حسن العطار لأنه (رب الذكاء الرائع ، وحامل العلوم التي سد بها الذرائع والمطيل بلسانه في حفظ علوم الشرائع والمستولي على المعرفة والفقه والفرائض ويذلل جناح الأصول إذا لم يذللها رائض ، وأستاذ الحساب وخائض بحر المنطق الذي اكتسب به الادراك أي اكتساب (١)

كما يقول العلامة العربي بن محمد الدمناتي كاتب سلطان المغرب ، وكان له مع العطار رسائل متبادلة وإذا كان العطار على هذا النعت فلا ريب أنه أمة وحده — في التحبير والتعبير . ولقد صنف الرجل كتاباً في الانشاء ، وقسمه ، إلى أقسام عدة — النوع الأول في مخاطبات الملوك والأمراء للدولة العثمانية . والنوع الثاني في مخاطبات القضاة والعلماء والمشايخ .

والنوع الثالث — في رسائل الاخوان . ثم ضمنه فصلا من كتاب وصف دمشق وفصلا في منتزهات القسطنطينية . ثم خاتمة تشتمل على أبيات تورد في أوائل الصدور . ليستشهد بها أثناء السطور . ثم لطائف فقر وظرائف سمر تحاضر بها الكتاب ، ثم أفرد قسما للشروط والصكوك وبه أنهى الكتاب . ولان الكتاب مهم وله قيمة علمية فقد أهداه الشيخ العطار الى « سيد » الوزراء . مقصد الأمراء ، ملجأ الفقراء ، غياث الورى . (الحاج محمد علي باشا) ... ولسوف نعرض نموذجين ، يوضحان الصورة التي كانت عليها الكتابة الفنية ، ويعربان عن المستوى الفكري الذي يحتويانه .

---

١ — انشاء العطار ص ٥٧ .

الانموذج الأول :ـــ

من المصنفات التي نالت قدراً غير قليل من الثناء والشهرة ، ألفية بن مالك وهي منظومة فى النحو العربي صاغها ابن مالك عالم القراءات فى ألف بيت وتتضمن جل القواعد اللغوية العربية فى صيغة مركزة ، وربما اقتضاب وبتر . وقد سبقها فى الظهور ألفية ابن معطى «ولكن قدر لعمل ابن مالك من الذيوع والانتشار ما لم يكتب لسواه . فكلف الناشئة من المتعلمين بها ، وعكف العلماء عليها شرحاً وترديداً . ولما لها من فوائد لدى دارس النحو . قام حضرة خيري باشا بترجمتها إلى التركية . فقرظه الشيخ العطار قائلا:ـــ

«أهذه حديقة زهر ؟ أم قلادة نحو» ؟ أم سماء فضل أزهرت بها نجوم التحقيق ، وأشرقت ـــ شموس التدقيق ، استنار بها (إلى الخلود) معهم السالك فى أحسن المسالك · إلى ألفية ابن مالك . فبرزت بها تلك الخريدة العربية فى ملابس الروم . وجليت تلك العروس على منصتها لكل خاطب لها يروم أبدع ناظمها وأحسن ، وأحكم وأتقن و كيف لا . وهو دوحة فضل ـــ أينعت بالزهر ، وتقلدت أغصانها من سحب العرفان بقلائد الدرر رب فصاحة و براعة . وقريحة لعظم القريض سلسلة مطواعة)

الانموذج الثانى :ـــ

أما الأنموذج الثانى فهو رسالة إلى (عالم صاحب طريقة) وفيه «أن أبهى ما زينت به وجنات الطروس وتملت بارشاف حميا لطفة نفائس النفوس بعد حمد الله على سوابغ أنعامه ، والصلاة على أشرف خليقته الذى مهد

من نشر — طى ، الصحيفة عن صادق المودة تفحها ، فهدى لحضرة الأستاذ الكامل والعالم العامل ، أوحد الفضلاء ، أكمل النبلاء ، مرشد السالكين إلى أقوم طريق ، ومربى المريدين بدقائق أسرار التوفيق ، الجامع بين علم الباطن والظاهر السائر لتدرجه للعلوم آثار ما أمحى من دروس الرسوم — صدر الصدور قطب المعارف الذى عليه الفضائل تدور . سلالة المسجد الذى أشرقت شموسه ، وأينعت ولا زالت فضائله على مدى الأيام تتجدد . ومعاليه الى ذرى الشرف بحسن المقاصد تصعد ، وأفعاله الى المكارم تستند ، ومزاياه بالمحامد تقصد (١) .

وفى هذا بلاغ لمن يريد الوقوف على الكتابة الفنية حينئذ . فهو أسلوب قد خلا من الفكرة وهام بالأصباغ والحلى ، وتجرد من الأثر النفسى الذى يتركه الأسلوب الجيد بعد قراءته ولقد أتيت بهذا النمط ليتضح أثر الكتاب العظام الذين غيروا فى أنماطنا التعبيرية — وطريقتنا الكتابية . وعلى رأس أولئك رفاعه رافع الطهطاوى . وعلى باشا مبارك والإمام محمد عبده والنديم ولفيف من من أرباب القلم سواهم . ولقد كان للشيخ محمد عبده على الوجه المخصوص من الأثر الواضح ما له ، ولا سيما بعد أن تولى تحرير الوقائع . وتغير أسلوب الشيخ نفسه وأنشأ بذلك اتجاها جديدا فى الترسل ، سوف تؤتى أكلها بعد حين .

وإذا كان النثر فى هذه الفترة على ما وصفنا ، فلم يكن الشعر بأحسن حالا منه — إذ غلبت المعالجة السطحية ، والولع بالمحسنات ، والدوران حول أغراض مستهلكة مهترئة ، وكثر التأريخ بالشعر والافراط فى المدائح النبوية .

---

(٢) المرجع السابق ص ١٤ .

ومن البين أن المصريين يفرحون بوفاء النيل ويقيمون له عيدا ، ولكن الشاعر آنذاك كان وكده الاتيان بتاريخ ذلك الفيضـــان فى الشعر وأجهد نفسه ؛ وأجهدنا معه كما يقول الدكتور احمد هيكل :

يقول عن الفيضان :

النيـــل في مصر أوفي — فى توت حادى وعاشـر (١)
والنـــاس قد أرخـوه — لله خـــير الخـــواطـر .

وكان ذلك عام ١١١٧ م . ولو حسبنا أرقام الشطر الأخير من البيت الثانى لكان مجموعه ١١١٧٠ .

وكذلك تردى الشـعر فى أغراض لا تليق بمكانته فهو يهتم بالأحاجي والمعميات والألغاز ، والتهنئة بالزهيد من الأشياء .

يقول شاعر مهنئاً بمولود :

هنئت بالطفل الذى أشرقت — بوجهـه ليـــلة ميـــلاده (٢)
فالله يبقيـك لـه سـالما — حتى ترى أولاد أولاده

وينظم الشيخ على أبو النصر الأحاجى . فيقول عن حرف (ال) :

إذا كنت الآداب سيد من درى — وفي محكم الألغاز أحسن من يدرى (٣)

---

(١) عجائب الآثار للجبرتى ج ١ ص ٣٠ وتطور الأدب الحدث فى مصر هيكل ط الأولى دار المعارف ١٩٦٨ م .

(٢) انشاء العطار ص ٨١ .

(٣) ديوان الشيخ على أبو النصر ص ٩٠ .

فما كلمة فيها كلام . وإنها — لفي غاية الاشكال ياغرة الدهر
هي الحرف من حرفين واسم بعدة — كذا الفعل منها لا يغيب عن الفكر
وفي قلبها في الأصل بعض فوائد — ولكنه لازال في حيز المعجز
وغايتها بدأ لها عند ذي النهى — وجملتها تأتيك في النظم والنثر

ولقد كان الشعر في تلك الفترة متنوع المشارب والمرامى، فتختلف الأغراض والنزعات ومرد ذلك الى البيئات المتباينة التي عاش فيها الشعراء « ولن يتيسر لنا أن تفهم الأطوار التي عبرتها الشعر المصرى الحديث بغير فهم هذه البيئات ولن يتيسر لنا أن نتابع الأطوار الي يومنا الحاضر ، ولا أن ندرك معنى الانقلاب الذي طرأ على الأذهان والأذواق في أواخر القرن التاسع عشر ثم في أوائل القرن العشرين بغير استقصاء معنى الأدب والشعر كما كان ملحوظا في جميع تلك البيئات .

(١) شعراء مصر بيئتهم في الجيل الماضى ـ مكتبة النهضة الأولى ص ٤ للاستاذ المرحوم عباس محمود العقاد .

أعمال المنفلوطي الأدبية :

للمنفلوطي أعمال أدبية كثيرة . اختلف فيها الرأي ، وتدابر حولها القول وهي بعد ذلك أعمال تنم عن اعداد ممتاز ، وتعرب عن موهبة أصيلة ، وتشهد للرجل بالعظمة والابداع .

ولقد بدأت أعمال المنفلوطي تتبدى للناس من خـــلال ما كان ينشره في بعض المجلات الاقليمية ، والتي غدت بيئة في مصر مثلا مجلة الفلاح ، والهلال ، والجامعة ، والعمدة وغيرها . (١)

وكان لوفرة المجـــلات والصحف من الأثر في نهضة الأدب ما لا يمكن جحدة ، ويكفي أنها ساعـدت على الارتقاء بالأسلوب ونضجـه ، وتمحيص الفكرة ، والوصول بالكلمة الى ما يطمح اليه ذرو الأقلام .

ولنا أن نتصور مدى النهضـة اذا عرفنا أنه في الفترة ما بين سنتي ١٨٩٢ : ١٩٠٠ م. بلغ عدد الصحف في العالم العربي ١٥٠ صحيفة منها ٨٩ صحيفة في مصر وحدها ، حتى أن الكاتب أصبح لا يسأل عما يكتب ولا حرج على الناس في اصدار الصحف . (٢)

وأدت حرية الصحافة وما واكبها من ظواهر اجتماعية وسياسية الى نوع من الصحافة المنحرفة التي تشهر بالأعراض وتنتهك الحرمات وتنشى بين الناس

---

(١) طاهر الطناحي . الهلال . ديسمبر سنة ١٩٥٤ م.

(٢) أنور الجندى تطور الصحافة ص ٥٦ .

الرذائل والموبقات ومن تلك الصحف حمارة منيتي لأحمـــد توفيق والسيف لأحمد عباس .

وأسفت هذه الصحف في كتابتها وترخصت وتردت في هاوية سخيفة من البذاء الأمر الذى دفع (أمين الشمسي) للتقـدم بتقرير إلي مجلس شورى النواب يحث فيه الحكومة على أن تقى الناس شر هذه الفوضى أو أنها تقرر معاقبة من يخرج عن حده .

ويبدو أن الأمر كان متفشيا وذا خطورة وللا لما وجدنا الامام الشيخ « محمد عبده » يقول: أن القدح فى الأعراض ، ونشر ما يخل بالآداب سواء كان بصفة رسائل مستقلة . أو نشر مقالات بالجرائد قد كـثر فى هذه السنين بسبب اطلاق حرية المطبوعات وبما أن ذلك ممنوع شرعاً وسياسة . فتلفت نظر الحكومة إلى ذلك . (١)

وما أن ظهرت أعمال المنفلوطى ، حتى لفتت الأنظار اليه ولا سيما الأستاذ الامام الذى كان عنده أمل لا يزعزعه شىء فى أصلاح أمته ، وكان عنده اعتقاد متين بأن البذرة الطيبة . متي ألقيت فى أرض بلادنا الخصبة نبتت وأزهرت وأثمرت (٢)

كما يقول قاسم أمين في رثاء محمد عبده :

وأثرت مواهب المنفلوطى الأديـــة في الامام وصادفت هوى فى نفسه

(١) المرجع السابق ص ٥٧ .

(٢) د . محمد حسين هيكل . شخصيات مصرية وعربية ص ٤٥ .

ووجد فيها الشيخ ضالته فاهتبل الامام هذه الفرصة . واغتنم هذا الشاب من بين لداته وأترابه من طلبة الأزهر الذين كانوا لانصيب لهم في صناعة الكتابة والانشاء (١)

وانتقل المنفلوطي من الكتابة في صحف اقليمية إلى الكتابة ـ نتيجة لتشجيع الشيخ ـ في أكبر الصحف حينئذ . فبدأ ينشر ويزدهر في المؤيد . ويكتب تحت عنوان « النظرات » .

وظل يتابع حتى أجتمع له كتابه المعنون بذلك الاسم .

ومن أعمال المنفلوطي :

١ ـ النظرات: ٣ أجزاء ٢ ـ العبرات . ٣ ـ في سبيل التاج
٤ ـ الشاعر ٥ ـ مجدولين ٦ ـ مختارات المنفلوطي
٧ ـ الفضيلة .

ونستطيع أن نقسم أعمال الرجل النثرية الى قسمين .

١ ـ القسم الأول :

مأخوذ عن الأدب الغربي . مثل الفضيلة (بول وفرجيني) .

لبرناردين دي سان بيير . (والشاعر) سيرا نودي برجراك . لادمون روستان . و (في سبيل التاج) لفرنسوا كوبيه . (ومجدولين) تحت ظلال الزيزفون .

---

(١) رشيد رضا . تاريخ الاستاذ الامام ج ١ ص ٤٤٩

لالفونس كار . هذا الى جانب بعض الإعمال القصصية المنبثة في النظرات والعبرات . وعلى سبيل المثال . (الذكرى) التى أصلها آخـــر ملوك بنى سراج . لشاتوبريان . وكذلك (الشهداء) التى أصلها (أتالا) له أيضاً . و(والضحية) عن غادة الكاميليا . لاكسندر دوماس الابن .

٢ ـ أما القسم الثانى فمردة إلى ذاته . ومرجعه إلى تفكيره وقراءاته . ومايمثله من حضارة وذوق . وذلك القسم يضم أكثر مافي النظرات ، وماوقع عليه اختياره في مختاراته . هذا إلى جانب بعض المقالات المنشورة فى عديد من الصحف والمجلات . والمنفلوطى على ذلك ـ ليس مؤرخا للأدب . ولم يؤلف كتاباً ذا صيغة تعليمية أو تثقيفية . وانما مـــدار أدبه على مايسمى بالأدب الانفعالى (   ) ولربما اندرج تحت مايسمى بالأدب الذوقى (   ) وإنتاجه يدخل ـ لاريب ـ فى اطار نظرية الأدب .

ولسوف نحاول مناقشة بعض أعمال المنفلوطى الأدبية حتى تتبين مالها وما عليها . ويتضح بذلك معالم شخصيته وقيمته وأثره فى أدبنـــا الحديث فكراً . وأسلوباً .

ولكى يقدر الرجل حق قدره ، لابد من التعريج على الأدب فى تلك الفترة فهو خير دليل يرشدنا وهاد ينير لنا المسالك .

وإن المتتبع لخطى النثر الأدبى أنذاك ليجـــده سائراً فى طرق كثيرة متخذاً غير وجهة . سالكا غير سبيل . فبينا نقرأ أنماطا من الأدب الانشائى تعيد إلى الاسماع نهـــج بديع الزمان الهمزانى ، والحريرى وابن الأثير .

والقاضي الفاضل تطالع طرائق أخرى من التعابير ماين أفرنجية قد تنكرت للغتها العربية وصدفت عنها . إلى رطانة غير بينة . وصيغ غير فصيحة ، إلى أسلوب قد أثر التحلل من القيود والبعد عن التكلف البياني ، ورنا إلى الابانة في غير ماتمحل ولا تفنن .

يقول الأستاذ أحمد حسن الزيات (والنثر الفني كان على عهده لوناً حائلا من أدب القاضي الفاضل أو أثراً مائلا لفن أبن خلدون . يتمثل الأول قوياً في طبعة المويلحي ، وحفني ناصف ويظهر الثاني ضعيفا في طبعة قاسم أمين ولطفي السيد . (١)

ونستطيع أن نقول في اطمئنان قريب من الحق . أن الأساليب التي سادت وقتئذ يمكن تقسيمها إلى الانماط التالية .

١ ـ نمط يكتب به علمـــاء الأزهر . وطلبته ومن لف لفهم من الذين يعكفون على أساليب الجدل، وخلق الجمل الاعتراضية التي تفسد المعنى أكثر مما تضيف اليه . ومن تلك النماذج الحواشي والتعليقات وما كتبه الشيخ حمزة فتح الله . والشيخ السمني والشيخ حسونه النواوي والشيخ بخيت .

٢ ـ نمط يستهتر باللغة العربية ولايخجل من جريان الخطأ على قلمه ولسانه بل أن بعض من كتب بهذا الاسلوب قد دعا إلى نبـــذ اللغه التي عفا عليها الزمن . ولم تعـد في مكنتها مسايرة التطور الاجتماعي . ولا متابعة الأبحاث

---

(١) وحي الرسالة ج ١ ص ٣٨٩ ط ٦ : ١٩٥٧ م .

والدراسات وكانت عبارة (لي لغتي ولكم لغتكم) من شعارات أولئك القوم .

ونما هذا الاتجاه حتى قرر بعض الذين في قلوبهم مرض أن الخطأ النحوي أو اللغوي لاينزل بمرتبة الأديب ولا يحط من قدرة . وقد سجل ذلك الأستاذ ميخائيل نعيمة صاحب الغربال وكان جل المدافعين عن هذا النمط ، والحريصين عليه . قلة من أدباء الشام الذين لم يتقنوا العربية ولم يرتبطوا بها دينياً .

٣ ـ نمط عربي اللسان واللهجة . أراد أن يعيد الى الحياة شوامخ الأعمال الأدبية التي راجت في عصر ازدهار لغة العرب كفن المقامات . وظهر من ذلك النمط العربي (حديث عيسى بن هشام) للمويلحي وقريب منه (ليالي سطيح) لمحمد حافظ ابراهيم . شاعر النيل .

٤ ـ نمط تعبيري مثقل بالصنعة مكبل بالأغلال كثرت فيه الحلي وتمكن منه التكلف والمغالاة ومن أشهر نماذجه اللون (صهاريج اللؤلؤ) لمحمد توفيق البكري . وأسواق الذهب لأحمد شوقي أمير الشعراء .

٥ ـ وهناك نمط توسط تلك الانماط ، فقد ابتعد عن التكلف والغلو ، وتجنب فسولة التعبير لدى المتحللين من العربية ، وحافظ على الاجرومية والنحو العربي ، وجود في الصياغة والتركيب وعالج موضوعات عصرية ، وناقش قضايا فكرية . ومن أشهر كتاب هذا النمط الاستاذ الامام محمد عبده ولاسيما بعد أن حرر أسلوبه ، وترك طريقة الترسل والبديع ، وأجمد

طرس الشدياق . وعبد الله النـــديم . ومن قبلهم رفاعة الطهطاوى ، وعلى باشا مبارك .

ويمكن اعتبار المنفلوطي امتدادا لهذا النمط ، فهو ثمرة من غرس الاستاذ الامام . وقد يكون في طريقة المنفلوطي أكثر من جانب ملحوظ ومدرك . ومن اليسير على الباحث أن يربط بين هذه الجوانب وبين دلالتها . وقد لاحظ الاستاذ العقاد جانبا من تلك الجوانب حينما زعم أن أسلوب المنفلوطي انما هو « تعصب للعربية . . وقد كان هذا رد فعل لتلك العصبية الجديدة للغات الأجنبية »(١) وانى أكاد أجزم بأن الشيخ محمد عبده هو الذي رسم للمنفلوطي طريقه وشجعه على سلوك ذلك السبيل . وما ذلك على الشيخ ببعيد . فقد كان له ميل إلى تشجيع الحركة الأدبية وهو الذى شجع بطرس البستانى على اخراج دائرته ، وكان وراء انتشار مجلة المقتطف وساعد « شبلى شميل » صاحب مجلة الشفاء ، وأعان على السفر لدراسة الأساليب الحديثة لمرض السل ، واختارا لتحرير الوقائع معه : سعد زغلول والشيخ عبد الكريم سليمان وابراهيم الهلباوى والشيخ محمد خليل والسيد وفاء وهو الذى أخذ بيد العالم المحقق الفذ الشنقيطى ولولاه لما بقى فى مصر ، وهو الذى عهد الى الأستاذ سيد بن على المرصفى بتدريس كتب الأدب فى الازهر من أمثال الكامل للمبرد وديوان الحماسة لأبى تمام .(٢)

(١) رجال عرفتهم العقاد ص ٦٤ .

(٢) زعماء الاصلاح . أحمد أمين ص ٣٠١ ومحمد عبده العقاد . العدد الاول من سلسلة أعلام العرب .

فلا غرو أن يكون أسلوب المنفلوطي وطريقته إنما كان عن اختيار الشيخ وهداه ، يقول الزيات عن علاقة الامام بالمنفلوطي ومدى اهتمامه به ذاكرا أنه كان « يرسم له الطريقة المثلى للغاية من الأدب . »(١)

ولسوف يتضح عند دراستنا الموضوعية لأدب المنفلوطي أن المواد التي عالجها لم تكن سوى تعبير أدبي عن أفكار الأستاذ الامام . ومن هنا كانت الطامة الكبرى على المنفلوطي حينما بلغه نبأ وفاة الشيخ . فارتد منكسرا أسيفا الى منفلوط تاركا القاهرة ومن فيها وليس ذلك بالأمر اليسير تفسيره . ولا السهل تقبله لولا الصلة الحميمة ، والاتجاه الواحد والعلاقة التي تتفوق على ما سواها من علاقات يقول الزيات : « لما قبض الله الامام الى رحمته جزع المنفلوطي فيه على سنده وآمله ، وارتد مقطوع الرجاء الى بلده .»(٢)

طريقة المنفلوطي :

من بين تلك الأنماط المتباينة ظهرت مقالات المنفلوطي على صفحات المؤيد . فكان لها من الأسر والتأثير ما كان . وجذبت الناس واستحوذت عليهم بفضل ما للرجل من ذلاقة وبيان ، وفصاحة ولسن من غير ما تبذير ولا سرف ، فاللغة عربية فصيحة غير موشاة بالحلي والمحسنات إلا ما يأتي عفوا غير متعمل . والجمل موحية قصيرة ، تمتاز بالسلاسة . وتتشح بالرقة ، وتتسم بالصحة والخلو عن كل ما يشين التعبير وما يصم الاسلوب .

---

(١) وحي الرسالة ج ١ ص ٣٨٨ .

(٢) وحي الرسالة ج ١ ص ٣٨٩ .

وترجع عظمة اسلوب المنفلوطى الى تلك الانتفاضة والجدة ، والتفوق على الأساليب المعتادة التى يلوكها الكتاب ، ويحفظها الدخلاء ، ومرد ذلك الى أن الأساليب آنذاك كانت « سقيمة التراكيب ، مشوشة القوالب » (١)

فاذا ما أشرقت ديباجة المنفلوطى ، وسطعت مقالاته نالت من التقدير فوق الكثير واستحقت ما يستأهله كل جديد حسن الوقع ، رائع المأخذ حتى أن الأستاذ المرحوم الزيات وهو من هو فى الاسلوب والديباجة يقول : « أشرق أسلوب المنفلوطى على وجه المؤيد » أشراق البشاشة وسطع فى أندية الادب سطوع العبير ورن فى أسماع الأدباء رنين القلم ، ورأى القراء الأدباء في هذا الفن الجديد مالم يروافي فقرات الجاحظ ، وسجعات البديع وما لايرون فى غثاثة الصحافة وركاكة الترجمة » (٢)

ولقد كثر الجدل حول طريقة المنفلوطى فى الكتابة ، وأحتدم اللجب وأشتد ، وليس المنفلوطى بدعا فى ذلك فكل طريف يثير من المناقشات حوله ما يثير ، ويقيم من الخصومات والجدل ما يشتد حينا ويضعف أحيانا .

ويجب علينا ونحن نقرأ مايقال حول طريقة الرجل أن نفرق بين كلام مصدره الحقد والموجدة ومثيرة الحساسية والتنافس ، وكلام نابع عن معرفة وتمرس بالكتابة وخلق ومعاناة ، وألا نخلط بين رأى يطلق للتعمية والتمويه ورأي ذي وجاهة وقبول .

---

١ ــ المرجع السابق ص ٣٨٥

٢ ــ المرجع السابق ص ٣٨٦

وقد أدى بنا ذلك إلى الوقـوع في التناقض والتردى إلى هاوية التجنى . وقديما سأل عبيد بن طاهر أبا عبادة البحترى فقال (يا أبا عبادة مسلم أشعر أم ابو نواس ؟ فقال البحترى أبو نواس لأنه يتصرف في كل طريق ويتنوع فى كل مذهب ، أن شاء جـد وأن شاء هزل ومسلم يلزم طريقـاً واحـداً لايتعـــداه ، ويتحقق بمذهب لايتخطاه فقال له عبيد الله أن أحمد بن يحى لا يوافقك على هذا . فقال أيها الأمير : ليس هذا من علم ثعلب واضرابه ممن يحفظ الشعر ولا يقـــوله انما يعرف الشعر من دفع إلى مضايقـة . (١) وهذا الحكم موافق لحكم أبي نواس في جرير الفرزدق مخالفا أبا عبيدة .

والنمط الذي سار عليه المنفلوطى نمط عربي في كل شيء . وهو اذا كان امتيازه في الأسلوب فلا ريب أن الأسلوب أصــــل من الأصول الأربعة للفن الأدبي . «٢»

ولقد خلب المنفلوطي الناس ببيانه وسحرهم ببلاغته وخاض في موضوعات شتى وعالج المعانى الجليلة بطريقته البيانيـــة الأخاذة . فأثرى وأثر ، وأعجب وأطرب ، وبلغ مايريدمن شأن وسموق . وما ذلك عليه بعزيز لأنه (إذا كان المعنى شريفاً واللفظ بليغاً وكان صحيح الطبع بعيـدا عن الاستكراه ومنزها عن الاختلال صونا عن التكلف صنع فى القلب صنع الغيث في التربة الكريمة.

«١» الكشف عن مساويء المتنبي لابن عباد طبعة القدس ص ٥

«٢» الأستاذ عبد الحميد حسن . الأصول النفسية للأدب سنة ١٩٤٩

وهناك جوانب عديدة ساعدت المنفلوطى على طريقته وحضته عليها ومن تلك الجوانب :

أولا : الجانب التكوينى والخلقى للأديب .

غدا من المقــرر أن حالة الأديب الجسدية والنفسية لها من الأثر على انتاجه مالها . وأصبحت طرائق معيشته ونظام حياته يتدخلان فى خلق العمل الأدبى ويسماه بميسمها أن جودة وأن قبحا .

ولما كان المنفلوطى . « قطعة موسيقية فى ظاهره وباطنه ، فهو مؤتلف الخلق ، متلائم الذوق متناسب الفكر ، منسق الأســلوب ، منسجم الزى ، لا تلمح فى قوله ولا فى فعله شذوذ العبقرية ، ولا نشوز القدامة ». «١»

فلا عجب أن يأتى أسلوبه جميلا أخاذا ، ذا طلاوة ورشاقة .

وقد لمح هذا الملمــح القاضى على بن عبد العزيز الجرجانى فأرجع التوعر والسهولة الى الطبع والتكوين يقول: فيرق شعر أحدهم ، ويصلب شعر الآخر ويسهل لفظ أحــدهم ويتوعر منطق غيره ، وانمــا ذلك بحسب اختلاف الطبائع ، وتركيب الخلق ، فان سلاسة اللفــظ تتبــع سلاسة الطبع ودماثة الكلام بدماثة الخلقة . «٢»

---

(١) وحى الرسالة . الزيات ج ١ ص ٣٨٦

(٢) الوساطة بين المتنبي وخصــومه . للجرجانى . تحقيق أبى الفضل والبيجاوى ص ١٢ سنة ١٩٤٥م .

ومتى خالف الأديب طبعه ، وفرض على نفسه أشياء لاتتوائم معها جاء عمله جاسيا نابيا . لايلج القلب ، ولايهز الوجدان ، ولا يقيم فى ميدان الأدب الا ريثما يمحى .

وأدب المنفلوطى على هــذا . تعبير تلقائى عن نفسه ، ففيه منه الرشاقة والسمت ، والاناقة والوسامة والتآلف ، والبعد عن النبو والتكلف .

والمنفلوطى أدرك أن الأدب لابد أن يكون تعبيراً غير ذاته بلا تعسف ولا قسر ، لأن الأديب كما يقولون « قد يعاب أشد العيب اذا قصد بالصنعة سائر عمله ، وبالابداع جميع فنونه ، لأن مجاهدة الطبع ومغالبة القريحة مخرجة سهل التأليف الى سوء التكلف وشدة التعامل ، ولكل شيء حد ، اذا تجاوزه المتجاوز سمى مفرطاً . وما وقع الافراط فى شيء الا شأنه ، واعاد الى الفساد صحته ، والى القبح حسنة وبهاء » «١»

واذا كان لتكوين الأديب الجسمانى أثر فى عمله وفنه ، فلا مرية أن يأتى اسلوب المنفلوطى على ما هو عليه من الروعة والقوة وما ذلك الا لأن الرجل كان كما وصفه الزيات . « رجل مجتمع الآشد مروع الخلق ، ممتلىء البدن ، غليظ الشارب حسن السمت » «٢»

فلا غرابة ـ على ذلك ـ أن يخلو اسلوبه من التكلف والقبح وكل مايشين

---

(١) الموازنة بين الطائفتين للامدى ص ١٦ .

(٢) وحى الرسالة ج ١ ص ٣٨٧ ط ٦ ٧ ١٩٥٧ م مكتبة النهضة .

ويصم ، ويشرق خلوبا يستميل ، وجذابا يأسر لا أثر لديه فى بهرجة ، ولامكان لعيب فى التركيب والصياغة .

ثانياً ـ الجانب الثقافي :

قرأ المنفلوطى من تراث العربية ما من شأنه أن يذكي فيه روح الصياغة وينمي لديه ذلك الاتجاه الجمالي فى الاسلوب والعناية به ، وكم حفظ لنا تاريخ البلاغة العربية من النصوص والآراء التى تعلى من شأن اللفظ ، وترفع من قدرة وتشييد به .

وكم قرأنا لأسماء ذات رنين ودوى لاتهتم الا بالصياغة ولا تعنى الا بالسبك . يقول أبو عثمان الجاحظ (المعانى مطروحة في الطريق يعرفها العجمى والعربى ، والبدوى والقروى والمدنى ، وإنما الشأن فى إقامة الوزن وتخير اللفظ ، وسهوله المخرج وكثرة الماء . وفي صحة الطبع وجودة السبك ، فانما الشعر صياغة وضرب من النسج ، وجنس من التصوير) . «١»

ومن البلغاء من يقول : (فقر الألفاظ وغررها . كجواهير العقود ودررها فاذا وسم أغفالها بتحسين نظومها حلى أعطالها بتركيب شذوذها فراق سموعها ، وجاء ماحرر منها مصفى من كدر العى والخطل ، مقوما من أود اللحن والخطأ ، يموج فى حواشيه رونق الصفاء لفظاً وتركيباً . قبله الفهم والتذ به السمع ، وإذا ورد على ضد هذه الصفة صدىء الفهم منه وتأذى السمع به ، تأذى الحواس بما يخالفها) «٢» .

(١) الحيوان ـ للجاحظ ـ ج ٢ ص ١٣١
(٢) مقال للمنفلوطى بمجلة سركيس ص ٢٢١ سنة ١٩٠٧ م .

وقرأ المنفلوطي ما كتبه أبو هلال العسكرى في الصناعتين . والخفاجى في (سر الفصاحة ، وابن الأثير في (المثل السائر) وكتابات الجاحظ والصابي وابن العميد حتى غدا المثل الأعلى للأسلوب ـ عنده ـ هو الذى يموج بالموسيقا ، ويفتن في العبارة ، ويخلب ويروق فى حسن صياغة وثوب قشيب.

ولقد استحوذت تلك الفكرة علي الرجل ، وأثرت فيه حتي انه عندما يشرع فى التمييز بين الشعراء انما يفرق بينهم على هذا الأساس .

(فأسمي الشعراء تصورا ، وأوسعهم خيالا اذا عجز عن ابلاغ ما فى نفسه الى نفس السامع لا يساوى عنده منزلة من ضعف تصوره ، وحسن بيانه ، فالمعانى كثيرة ، والخيالات مملوءة بها أذهان العامة من الناس ، ولكن العقبة الـكؤود براعة التصوير ، وقوة البيان) ١

وأديب يرى المعانى كثيرة لاعقبة فيها وانما العقبة فى براعة التصوير ، وقوة البيان . لاريب أنه مأخوذ بذلك المذهب معجب به . ومن اليسير ارجاع تلك العباره المنفلوطية الي التراث القديم ان لم يكن بنصها فقريب من النص .

يقول أبو هلال العسكري :

(وليس الشأن في ايراد المعانى ، فالمعانى يعرفها العربى والعجمى ، والقروى والبدوى . وانما جودة اللفظ وصفاؤه ، وحسنه وبهاؤه ونزاهته ونقاؤه) ٢

(١) مقال للمنفلوطى بمجلة سركيس ص ٢٢١ سنة ١٩٠٧ م.
(٢) الصناعتين. لأبى هلال ص ٧ .

ولا مريه في تأثر المنفلوطي بتلك النظريات ، وايمانه بهـــا ، فاحتذى الانماط التي تروقه وتقع منه موقعا حسنا ، وكذلك يتبدى لنا أثر قراءات المنفلوطي في فنه ، وتلوينها لطريقة تعبيره وانشائه .

ثالثا ـ الجانب التوجيهي :

تعرضت الحياة المصرية في القرن التاسع عشر لعواصف عاتية ، هبت عليها من أوربا متمثلة في جيوش غازية ومدنية وافدة ، وفنون طريفة ، وطرائق معيشية فيها من الجدة مافيها . وانبهر المصريون بما رأوا. وأصابهم من الدهشة ما جعلهم يكبرون الأوربي ـ وآمن بذلك لفيف من المصريين . فاصطنعوا من الوسائل مثل ما يصطنع واتخذوا من الأساليب ما أتخـــذ ، محاولين تقليده ومحاكاته .

وارتفعت أقلام مخدوعة تحث المصريين على الارتماء في أحضان الغرب والنهل من معينهم العذب ، ونبذ القيود المفروضة ، والحدود التي تعوق التقدم .!

وتعالت همهمات الزراية والاستهتار بالعرب وما لهم ، والاشادة بالغرب وما هم عليه . حتى اختلط الأمر ، ووقع الشك ، وحدثت الريبة .

وهنـا لابد أن نتذكر دور الشيخ محمد عبـده الذي رأى ان الذب عن الدين لا يقتصر عن الخطب المنبرية . ودروس الأزهر . وانما يجب أن يناضل المرء عن دينه بالكلمة والقلم .

وأدرك الشيخ ان الناس مفتونون بما يقـــدم لهم من زاد أجنبي فيه ـ لا شك ـ عناصر مرية ، فأراد أن يحث اديبا مسلما ذا اسلوب وبيان على

أن يخرج الناس ذلك الزاد ، ويقدمه في معرض رشيق ، وصياغة جذلة مبتكرة ، تواكب تشوف القراء الى تلك القصص ، وتعمل على تبرمهـا بما فيها من مجارية القيم ، ومجانفة للخلق واسفاف وانحطاط . !

ووجد الشيخ ضالته في تلميذه . مصطفى لطفي المنفلوطي . فأوعز اليه بذلك ورسم له الطريق . وبين له سبيله ومنهجه ، فسار على هديه ، واقتفى اثره ، واقتدى به فكان من اعماله ما كان . !

ولقد أصبحت الغلبة في تلك الفترة لنوع جديد من انواع الأدب ـ وهو المقال . وعرف به لفيف من أدباء ليسوا بمصريين ، بل ان بعضهم لم يقف على لغته الا لماما . ولم يكن يعرف من العربية ما يوغر صـــدر شانئه . فالتوت الاساليب ، وعقمت الصور ، واضحى المقال سردا عاميـا . لا تأنق فيه ، ولا فيه . . مايغرى بالقراءة .

فكان لابد ان ينبرى لكتابة المقالات اديب ذو بلاغة وفصاحة ، يشعر بوقع الجملة ويعرف من لغته واسرارها الكثير يتقدم اولئك الذين يتصدون للكتابة ، وينتزع منهم الاعجاب والتميز ، وكان هذا الاديب هو المنفلوطي بايعاز من الشيخ .

وعندما انس الامام في تلميذه قدرة على الابداع ، وراى فيه فكرته متمثلة بادية ساعده على الكتابة فى المؤيد . ورحب بذلك الشيخ على يوسف .

وعلى ذلك فطريقة المنفلوطي في الكتابة انما هى الوجه العربى امام جحافل الردة ، ومردة النكوص ، وبواعث التمرد ، وهى مواجهة حاسمة

لتلك المفتريات التي روجها أعداء اللغة ، والبيان العربي وهي دفاع عن المثقف المسلم الأزهري الذي يظن بـــه الاغراق في المتون والافراط في الحواشي والانصراف عن الفن والأدب والنأي عن الانماط الحديثة في الأدب العالمي . ولقد أصاب العقاد شاكلة الصواب حينما قال : (التعصب للمنفلوطي تعصب للعربية آنذاك) (١)

رابعا ـ جانب الذيوع والسيادة :

عندما قرأ الناس في العالم العربي الاعمال الفنية التي دبجها كبار الأدباء في الغرب بهرهم مافيها من فن وابداع وخلق ، وما تتضمن من أحـــداث ومواقف . وصادف ذلك الفن هوى في نفوس الناس ، فأقبـلوا عليه أقبـال الهيم واسرفوا في ذلك .

ومن الاتجاهات التي حازت قصب السبق ، وكان لهـا السيادة والذيوع روائع الأعمال الرومانسية فقـــد استحوذت على الألباب ، واستولت على المشاعر والمهج وانصرف الناس عن كتابات أخرى ذات اتجاه ومنهج الى النمط الرومانسي . في التعبير والحياة .

وهام الناس وجدا بأبطال تلك القصص ، ورأوا فيهم أنفسهم فازدادوا بهم تعلقا واعجابا .

---

(٢) رجال عرفتهم ص ٦٤

وكانت تلك الكتابات بما لها من خصائص ورؤى ترضى نزعات مصرية وتوافق هوى في الأمزجة ، يقول الاستاذ اسماعيل أدهم :

(وفى العصر الحديث حين اتصل العرب بالأدب الغربى ، لم يرقهم منه الا الأدب الابداعي ــ الرومانطيقي ــ الذى يصور الأبطال ، ويغرب فى الخيال ويترجم عن العواطف الجياشة) (١)

فلا غرابة إذا كتب المنفلوطى على هذا النمط ، وسار فى ركاب ذلك الاتجاه وجاري تلك الموجة العارمة التي اجتاحت الأدب العربى ، والوجدان العام آنذاك .

ومن الممكن ارجاع المآخذ التى وجهها بعض النقاد الى أدبه . لطبيعة تلك المدرسة وأصول هذه الطريقة فى الكتابة والتعبير . وعن تلك المحاور كانت سبيل المنفلوطى في الكتابة ، ولربما غدت الروافد الفكرية لديه والينابيع التي يستقي منها فنه ووحيه . !

---

(١) توفيق الحكيم الفنان الحائر ص ٢٤٢ ، وعمر الدسوقى الأدب الحديث ج ١ ص ٣٣٤ .

الفصل الثانى

دراسة موضوعية فى أدب المنفلوطى

يروق لبعض الدراسين أن يسارع فيرمي المنفلوطى بالسطحية ، ويتهمه بالصياغة والانشاء وأنه لايعالج أفانين القول ، ولا يناقش قضايا فكرية ، وليس فى مكنته أن يصطنع الاسلوب العلمى .

ولسوف نرى ان أدب المنفلوطى منجم لدراسات ونظرات ، وأنه يحوى أفكاراً وقضايا ، ويناقش مواقف ومشاكل ويثير من الموضوعات التى تحظى بالاهتمام الشىء الكثير .

ونستطيع ان ندعى بأن المنفلوطى . كان صاحب رسالة وفكر . وانه حاول بشق الأنفس أن يبلغ رسالته ، ويؤدى ماعليه تجاه وطنه وقومه . بل أنه ليزداد رحابة ، فيحمل أعباء الانسانية ، وينوء بها . « أنا لا أغضب لشىء الا للانسانية أن يخفر ذمامها ، وينتقض عهدها) وهو مصلح اجتماعى يرى فى بنى وطنه العيوب فيحاول رأبها فى رهافة حينا وفى قسوة احياناً . (ان فى المصريين عيوباً جمة فى اخلاقهم وطباعهم ، ومذاهبهم وعاداتهم).

كان لابد للمنفلوطى ان يتصدى لتلك العيوب ، ويحارب مايراه من من قصور . ولاسيما وقد غدا قادة الفكر فى مصر أمس الحاجة إلى مرشد ودليل .

(ما أعظم شقاء هذه الأمة ، وأشد بلائها . فقد أصبح دعاتها فى حاجة الى دعاة ينيرون لهم طريق الدعوة) وهو يوطن نفسه على تحمل الاسى ، وتقبل العناء لأنه يعرف مايتعرض له الدعاة من اهانة ، وما يلاقون من ويل . (الدعاة الصادقون لا يبالون أن يسميهم الناس خونه أو جهلة أو زنادقة . أو ملحدين أو ضالين أو كافرين لأن ذلك ما لا بد أن يكون) .

ولقد رسم لنفسه سبيلا ، واتخذ طريقا، وسن لنفسه منهاجا يترسمه ، فهو يحاول أن يغير في أفهام الناس ، ويعدل من تصوراتهم ، ويهذب المثل الأعلى لديهم . فالوسيلة العملية للتغير لديه هى تغير الأفهام والتصور (من شاء أن يهذب أخلاق الناس ويقوم معوجها ، فليهذب تصوراتهم ، وليقوم أفهامهم يوافه مايريد من التهذيب والتقويم «١» .

وكم كان المنفلوطى وفياً لمبدئه ، متبعاً لمنهجه وأدبه ـ فى الواقع ـ صورة صادقة لتلك التصورات التى قد مناها وآية ناطقة بالتزام الرجل ودليل على انه صاحب رسالة وفكر . على خلاف مايشاع عنه ولسوف أحاول أن أركز على أهم المضامين والأفكار التى تناولها المنفلوطى فى أدبه .

أولا ـ الشباب :

الشباب هم عدة الوطن ومستقبله وأمله، والمنفلوطى المصلح الراعية . أهتم بأمر الشباب ، وخصهم بمزيد من عناية وفضل من تعهد، يعنفهم أحياناً ويلاطفهم مراراً ويوجههم ويسددهم .

(١) النظرات ج ١ ص ١٥٥

لقد مد المنفلوطي بصره فألفي شيئاً عجبا رأى شباب بلاده يتخلى عن صفات الرجولة ، وخلال الشهامة ويتخلق بأخلاق النساء ويتخذ من الزينة مايقرب الشقة بينه وبين الجنس الآخر ، وسمع لكنه لم ترقه ، وشاهد تخنثاً وتفتراً وفسولة . فثار الرجل حرصاً على شباب وطنه فخاطبهم قائلا : أصحيح انكم فقدتم فى تلك السبل التي تسلكونها . خلق الرجولة والشهامة فأصبحتم تتجملون للنساء بأخلاق النساء وتزدلفون اليهن بمثل صفاتهن وشمائلهن وأصبح الرجل منكم لاهم له فى حياته الا أن يتجمل في ملبسه وينكسر فى مشيته ويرفق فى صوته ويلون ابتساماته ونظراته بألوان التضعضع والفتور ويقضى الساعات الطوال أمام مرآته متعهدا شعره بالترجيل ، وبشرته بالتنفير وثناياه بالصقل والجلاء ، حتي صار ذلك عادة من عاداتكم التى لا تنفك عنكم ، وحتى صار أسرى التأنيث من أجسامكم الى نفوسكم فلم يبق فيكم من صفات الرجولة واخلاقها غير الاسماء والالقاب) «١»

واذا كان الشباب قد وصلوا الى ذلك الدرك فمن ينقذهم مما هم فيه . ؟

لعله القانون ؟ انه خزانه وهم ، ولعله الحكومة ؟ انها تائهة فى شئونها لعله الدين ؟ انه وهن وهان وبعد ان يستعرض المنفلوطي كل من يترقب منهم التأثير لا يجد أجدى من ضمائر الشباب ولا افيد من مخاطبة وجدانهم .

(انى لا افزع فى أمركم الى القانون . فالقانون فى هذا البلد مدنى لا ادبى ولا الى الحكومة ، فالحكومة مشغوله بشأن نفسها عن شأن غيرها

(١) النظرات ج ٣ ص ١٢٢

ولا الى الدين فقد ضعف شأنه فى نفوسكم حتى هان أمره عليكم ، ولا الى أبنائكم واولياء أموركم فقد عجزوا عنكم ، بل افزع فى أمركم الى ضمائركم التى هى الأمل الباقي لنا بعد فقد جميع آمالنا فيكم فاصغوا الى صوتها ساعة تسمعوا منها هذا الرجاء الذى نرفعه اليكم ، وصوت الضمير أقوى من كل صوت في العالم)

وما الذى حدا بالشباب الى هذا المستوي ؟ واين التعليم الذى تلقوه في المدارس ؟ واين اثر التربية علي سلوكهم ومشاربهم ؟ ان المنفلوطى يلقى .. التبعة على سبل التعليم ومناهج الدراسة ونظام المدرسة ، ويحمل القائمين على شئون التعليم مغبة صنيعهم ، فالشباب رغم ما عليهم لهم بعض العذر لأنهم (خرجوا من المدارس بلا دين ولا وطن ، اما الدين فلأن اكثر مدارسنا حتى الأهلية منها مادية محضة لا تعلق للدين بشأن من شئونها ، وأما الوطن فلأن المدارس عندنا تديرها من وراء ستار أيد أجنبية تربى التلاميذ لها لا لأوطانهم) «١»

وما ذلك الا أن المدرسة لا تتسع مناهجها فتشمل الحياة بآفاقها على تلقين الشباب قواعد العلم ، مفضلة قواعد الحياة واصول التعامل متناسية انه قد يوجد تناقض بين النظرية والتطبيق وان الشباب بحاجة ماسة الي الاحتكاك الفعلي بالحياة ومجابهة ظروف الواقع وانه من الخطل ان يقع الشباب بين

---

(١) النظرات ج ٣ ص ١٥٣ .

جدران من المعهد او المدرسة يحفظ ويجد حتى اذا لفظتــه المدرسة الى حيث الحياة الصاخبة العاتية ضل سواء السبيل . .

(يجب ان يتعلم الطفل من اول يوم يجلس فيـــه امام مكتب مدرسة ان الموجود فى الحياة غير الموجود فى المكتب) «١»

واذا كان لبعض الشباب عذر لأنه لم ينل حظا من التعليم ولم يتزود بقسط من الثقافة فما بال اولئك الذين وصلوا الى الدرجات العلي ونالوا ارفع الأوسمة ما بالهم يتخبطون في الردى، ويأتـــون من الأمر ارذله ، ومن الاخلاق اردأهـا ؟

انما مرد ذلك الى بغيتهم فى الحصول على الشهادة والظفر بتلك الورقة التى لا تسمن ولا تغنى من جوع ، فالشباب لا يتأثر بالعلم لأنه لا يعمل له وانما ينصب فى سبيل احراز الشهادة والعثور عليها . ولا علاقة له بالعلم من قريب او بعيد ويسخر المنفلوطي بهـــذا الشباب الذى يجرى وراء الرخصة شأن شبابنا فى أيامنا هذه . .

(ان اعتدادك بهذه الورقة هذا الاعتداد كله واكبارك اياها هذا الاكبار العظيم دليل على انك تريد ان تجعلها منتهى املك وغاية همتك وانك لا ترى بعدها مزيدا لمستزيد . . باب الشرف مفتوح بين يديك لا شأن للحكومة فيه ولا حاجب عليه وماهو ان تجد فى العلم والمعرفة .

---

(١) النظرات ج ٣ ص ١٢٢ .

واستكمال ما ينقصك من الفضائل النفسية فاذا انت شريف في نفسك وفي نفوس الخاصة من الناس واذا انت في منزلة يحسدك عليها ارباب الشهادات والمناصب، لا حيا لله يحي بورقة ويموت بأخرى . ولا مجداً يأتي به سطر، ويذهب به سطر) «١»

والمنفلوطي منصف عادل لا يلقي باللائمة على الشباب، وانما يتقصى الأسباب ويبحث عن الدوافع، حتى اذا رأى شابا قد أجرم وأذنب لم يحمله وحده تبعة عمله، وانما يشهر في شجاعة الى شركائه الذين سولوا له المنكر . ولم يضطلعو بما يجب عليهم حياته . يقول عن شاب مجرم مذنب .(لا أنظر اليك بالعين التي ينظر اليك بها القاضي الذي قسا عليك في حكمه لأني أعتقد أن لك شركاء في جريمتك، فلا بد لي من أن أنصفك، .. شريكك في الجريمة أبوك لأنه يتعهدك بالتربية في صغرك، ولم يحل بينك وبين مخالطة المجرمين فهو الذي غرس الجريمة في نفسك . ! !

شريكك في الجريمة هذا المجتمع الانساني الفاسد الذي أغراك بها ومهد لك السبيل اليها، شريكك في الجريمة حكومتك لأنها كانت تعلم أن الجريمة هي الحلقة الأخيرة من سلسلة كثيرة الحلقات، وكانت تراك تمسك بها حلقة حلقة، وتعلم ما سينتهي اليه أمرك فلا تضرب على يدك .

كانت حكومتك تستطيع أن تعلمك وتهذب نفسك، وأن تخلق بين يديك أبواب الحانات والمواخير وأن تحسن تأديبك في الصغيرة قبل أن تصل الى الكبيرة، ولكنها أغفلت أمرك فنامت عنك نوماً طويلا .

كل هؤلاء شركاؤك فى الجريمـــة وأقسم لو كـنت قاضياً لأعطيتك من العقوبة على قدر سهمك فى الجريمة) .

التعليـم :

تهتم الدولة المتقدمة والتى تبتغى التقدم بالتعليم فتهـــذب من أساليبه وتستحدث من وسائل . وتدخل على برامجها ماتراه صالحاً مفيداً .

ويرى المنفلوطى طلبة العـــلم تركبهم الذلة وتهيمن عليهم المسكنة ، ويخضعون السفهاء من الناس ، ويتزلفون لأصحاب الجاه والسلطان غافلين عن مكانتهم ، جاهلين مقدارهم .

فطالب العلم مفتقر الى السمو وعلو الهمة

وقديما قال القاضى الجرجانى .

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ولو عظموه فى النفوس لعظما
ولكن أهانوه فهانوا ودنسوا محياه بالأطـــماع حتى تجهما
ولم أبتذل فى خدمة العلم مهجتي لأخدم من لاقيت، لاقيت حتى لأخدما

فطالب العلم مفتقر الى السمو وعلو الهمـــة . (وليس فى الناس من هو أحوج الى علو الهمة من طالب العلم وابرز مصدر للعلم آنذاك هو الأزهر . ولكنه يهتم بالتحفظ والتلقين ، ويعنى بالمحاكاه والترديد .

فيشن المنفلوطي حملة شعواء على ذلك الأسلوب التحفيظي لأن (العلم المحفوظ يستوى صاحبه فيه مع الكتاب المرقوم) «١»

وكثرة الحفظ لا تدل على عبقرية . ولا تنبيء عن مولد عملاق لأن (الحافظ يحتفظ بما يسمع لأنه قوي الذاكرة وقوة الذاكرة قدر مشترك بين الذكي والغبي والنابة والخامل ، لأن الحافظة ملكة مستقلة بنفسها عن بقية الملكات) «٢»

ويرد الانحراف الى هذا الأسلوب الخاطيء فى التعليم ، واكثر ما ترى من بلبلة وريب انما كانت نتيجة الحفظ والترديد . (لولا أن العلم الدينى قد أصبح اليوم علماً محفوظا لما وجدت فى العلماء من يجمع بين اعتقاد الوحدانية ، وبين التردد على أبواب الأحياء والأموات فى مزاراتهم وفي مقابرهم) .

والحفظ سبيل الجدب الفكرى ، لا يستطيع حافظ ان يكون ذا رأى ولا يمكنه أن يتصدر فيفتى أو يرجح . وهذه آفة كبرى ووصمة أليمة الوقع . (وجملة القول ان الحافظ البحث لا رأى له فى بحث ، فيسأل عن مذهب ، ولا أثر لمعلوماته في نفسه فيقتدى به ، ولا فروق له في الفهم فيعتمد على شرحه وتأويله) «٣»

---

(١) النظرات ج ١ ص ٢١٥ (٢) المرجع السابق .

(٣) النظرات ج ١ ص ٢١٨

والمنفلوطي يقترح الاكثار من التطبيق ، ومـــزج النظرى بالعملى ، والحفظ بالممارسة وتحبيب الطلبة في المادة وترغيبهم فى دراستهم .

(لاينال المتعلم حظه من العلم الا اذا استطاع تطبيقه على العمل ، والانتفاع به في مواضعه ومواطنه التي وضع لأجله ولن يستطيع ذلك الا اذا استكثر له معلمه من الأمثلة والشواهد الملائمة لقواعد ذلك العلم وافتن له في ايرادها افتنانا يقرب الي ذهنه تلك الصلة بين العلم والعمل ، ويسهل له الوصول الى القدرة على تلك المطابقة) «١»

ويسخر المنفلوطي من علماء النحـــو العربي الذين يعكفون على ترديد أمثلة بالية مثل زيد ، وعمرو . وضرب أحدهما الآخر، ويقترح ايداعهم فى في سجن حتى يدعوا ماهم عليه من سخف واسفاف . (لو كنت مسئولا لما أطلقت سبيل هؤلاء النحاه من سجنهم حتى آخذ عليهم عهدا وثيقاً أن يتركوا هذه الأمثلة البالية الي أمثـــلة جديدة مستطرفة ، تؤنس نفوس المتعلمين ، وتذهب بوحشتهم) «٢»

ولا ريب ان مناهج التعليم على ما هي عليه لن تؤدى الا الى فساد الذوق ، وجهامة التصور وفدامه الخيال ، ولن يؤتى العلم ثماره ، (وعلام يتعلم النحو والصرف ان عجز أن يقـــرأ صحيحاً كل كتاب وكل صحيفة ؟ ! وعلام

---

(١) النظرات ج ٢ ص ١٣

(٢) المرجع السابق

يتعلم علوم البلاغة ان عجز عن معرفة أسرار الكلام وأوجـــه بلاغته وفهم المواد من مختلف أساليبه ، وعن الابانة عما يـــدور في نفسه ابانة واضحة لا يشوبها قلق ولا أضطراب !

وعلام يتعلم المنطق ان عجز عن التمييز بين فاسد القضايا وصحيحها فى كل ما يعرض عليه منها ، وان لم يكن الموضـــوع الانسان والمحمول الحيوان الناطق) «١» .

ويبلغ به الضيق مبلغــه ، فيعلن ثورته على تلك الطريقة المتبعة فى الأزهر ويصدع بما يرى فى صراحة وصدق غير مبال بمـــا يلقى ، ولا ملتفت الى ما يعانى . (مادامت مدرسة الأزهر على هذه الحال من أسلوب التعليم والعقم ، فليس بمقدور لها فى مستقبل الأيام أن ينبغ منها العلمــاء الذين تستطيــع أن تنتفع بهم الأمة انتفاع أمثالها بأمثالهم في شارق الارض ومغاربها ، فويل للعلم من العلماء) «٢»

ويجب أن تقوم ثورة علي نظم التعليم ووسائله ، ويتغير تصور المتعلمين والمعلمين ، ويتجـدد النمط التعليمى حتى نقطف ثمره ، ونجنى غرساً وأما اذا ظل على طريقته فهيهات . ولن نعثر على نابغين ولا نابهين (لن يبلـغ المتعلم درجة النبوغ الا اذا وضع فى العلم الذي مارسه مسألة أو كشف حقيقة أو أصلح هفوة . أو اخترع طريقة ، ولن يسلس له ذلك الا اذا كان علمه

---

(١) المرجع السابق

(٢) النظرات ج ١ ص ٢١٨

مفهوماً لا محفوظاً ، ولا يكون مفهوماً الا اذا اخلص المتعلم اليه ، وتعبد له . وأنس به أنس العاشق بمعشوقه ولم ينظر اليه نظر التاجر لسلعته ، والمحترف لحرفته) «١»

ولا بد أن يتغير مفهوم الناس عن العلم والتعليم فليس وسيلة لنيل الدرجات ولا سبيلا لجمع المال ، ولا سبيلا لكسب شهرة ، ولن يحـــدث ذلك الا اذا تغيرت المفاهيم ، وتحددت القيم . وهذا هو السبيل الأمثل لرفعة شأن التعليم والنهوض به . فالعلم قيمة يجب أن يعض الناس عليها بالنواجذ . (لا يزور العلم قلبا مشغولا يترقب المناصب ، وحساب الرواتب ، وسوق الآمال وراء الأموال ، كما لا يزور قلبا مقسما بين تصفيف الطرة ، وصقل الغرة ، وحسن القوام ، وجمال الهندام ، وطــــول الهيام بالكأسين كأس المدام وكأس الغرام) «٢»

ويولى المنفـــــلوطي اهتماما بالتعليم الأزهرى لأنه أسس التعليم الدينى ، ويجب أن يتحرر مما فيه من خلط واضطراب ، ويتخلص من منهجه العتيق الذى يعج بالترهات . ويفيض خداعا وكذبا فيسخر من نظام التعليم في (معاهد الدين حيث يتلقى المتعلمون الدين جسما بلا روح ، وعلما بلا عمل ، كأنهم يتلهون بدراسة احدى الشرائع الدائرة ، أو أحد الأديان الغابرة ،

---

(١) المرجع السابقة .

(٢) النظرات ج ٣ ص ١٣٠

وحيث يلفقون كشكولا عجيبا وخلقا غريبا من الأكاذيب والترهات ، فلا تكاد تسمع من أفواههم الا جديثا موضوعا أو قولا مصنوعا ، أو خرافة تاريخية ، أو بدعة دينية ، وحيث يقضون حياتهم فى المناظرات والمجادلات والتحاسد والتباغض والتقاطع والتدابر ، وهى بعينها الأخلاق والرذائل التى ماجاءت الاديان الا لمحاربتها والقضاء عليها فهم يهـــدمون حيث يظنون أنهم يبنون ويسيئون ويحسبون أنهم يحسنون صنعا) «١»

وبعد أن ينتقد مناهج التعليم وسيلة ، ويرى أنها لاتصلح ولا تغنى ، من جوع ، يرسم الطريق ويبين المنهج ثم يخاطب طالب العلم وهو اللبنة التى تشكل ، والأصل الذى يبنى عليه ، يحثه على الاجتهاد ، ويبتغى منه علو الهمة والرفعة والطموح والتسامى .

ياطالب العلم كن عالى الهمة ، ولا يكن نظرك فى تاريخ عظماء الرجال نظرا يبعث فى قلبك الرهبة والهيبة فتتضائل وتتصاغر .

ياطالب العلم أنت لا تحتاج فى بلوغك الغاية التى بلغها النابغون من قبلك الى خلق غير خلقك ، وجو غير جوك ، وسماء وأرض غير سمائك وأرضك وعقل وأدوات غير عقلك وأدواتـــك ، ولكنك فى حاجة الى نفس عالية ، كنفوسهم ، وهمة عالية . كهمتهم «٢» .

---

(١) النظرات ج ٢ ص ١٣٠

(٢) النظرات ج ١ ص ٢١٥

وهكذا نفذ المنفلوطي الى أسرار التعليم فى وقتـــه وجل ذلك ما زال موجودا نعانى منه ، ونشقى به ، ونحتاج الى منفلوطى آخر .

الأخلاق الزائفة :ـ

قدم الاوربى الى مصر فجلب المدنية وأتى معه بوسائل التقدم والازدهار ولكنه خلط كل ذاك بسموم دخيلة نخـــرت في عظام الأمة وقوضت من أخلاقها الراسخة وأتت عليها من القواعد .

وانبهر المصرى بما رأى فولى وجه شطر الرجل الاوربى مقلدا ومحاكيا من غير وعى ولا ادراك لما يأتى وما يذر ، فجر ذلك ماجر على الاخلاق وأحدث تغييرا فى تركيب العــــادات والاعراف ، وتنكر لفيف من الناس لأعرافهم وعاداتهم الموروثة وهاموا وجدا بكل طريق عبر البحر وجديد وافد ذى رطانة وعجمة .

وهنا يصرخ المنفلوطي (ان فى المصريين عيوبا جمة في خلاقهم وطباعهم ومذاهبهم وعاداتهم (١)

ويدرك المنفلوطي ان المدنيـــة الغربية اهتمت بالجسد واهملت الضمير ففسدت الحقائق والتوت طرائق الأمور ، وتنكب الناس الطريق السوى . ولـكى يعود الأمر الى سالف عهده لا بد من اصلاح الضمائر ، وبعث الأصالة فتلك قيمة يجمل الحرص عليها .

(١) النظرات ج ١ ص ١٢٢

(الخلق هو أداء الواجب لذاته ، بقطع عما يترتب عليه من النتائج ، فمن أراد ان يعلم الناس مكارم الاخلاق ، فليحي ضمائرها ، وليبعث في نفوسهم الشعور بحب الفضيلة والنفور من الرذيلة بأية وسيلة شاء ، ومن أي طريق اراد ، فليست الفضيلة طائفة من المحفوظات تحشى بها الأذهان ، بل ملكات تصدر عنها آثارها صدور الشعاع عن الكوكب ، والأريج من الزهر)

وأدى فقدان الضمير الى رسوم واشكال ليست من الاخلاق في شيء وإنما هي مظاهر انحلال ، ودلائل ضعف وضياع . وينقل لنا المنفلوطي صورة من ذلك تفيض مرارة وتذوب حسرات وما زالت الاخلاق بخير حتى خذلها من ذلك الضمير وتخلى عنها ، وتولت قيادتها العادات والمصطلحات والقواعد والانظمة ، ففسد أمرها ، واضطرب حبلها ، واستحالت الى صور ورسوم واكاذيب والاعيب ، فرأينا الحاكم الذي يقف بين يدي الله ليؤدي صلاته ، واسواط الجلادين تمزق على مرأى منه ومسمع جسم رجل مسكين لا ذنب له عنده إلا ان يملك صبابة من المال يريد ان يسلبه اياها ، والأمير الذي يتقرب الى الله ببناء مسجد قد هدم فيه ألف بيت من بيوت المسلمين والفقيه الذي يتورع عن تدخين غليونه في مجلس القرآن ، ولا يتورع عن مخالفة القرآن نفسه الى خاتمته والفتى الذي يسمع انين جاره في جوف الليل من الجوع فلا يرو له ولا يحفل به ، فاذا اصبح الصباح ذهب الى ضريح من

---

(١) النظرات ج ٣ ص ١٤٤

اضرحة الاولياء ، ووضع في صندوق النذور بدرة من الذهب قد ينتفع بها من لاحاجة به اليها . واللومس التي تتصدق بنفسها ليلة في كل عام على روح بعض الاولياء وعندها انها قد كفرت بذلك عن سيئاتها طوال العام) «١»

ثم يرسم طريق النجاة من الاخطبوط الغربي ، مبينا أننا لا نستطيع أن ندفع غائلة التروي الا اذا كان لدينا أخلاق ولنا قوة ذاتية ، اذ فاقد الشيء لا يعطيه وعلاقات الأمم والشعوب تبغي على قوى الضعيف ومؤثر ومتأثر (والشر لا يقاوم الا بالشر ، والظلم لا يدفع الا بالظلم وحامل السيف لا يغمده في غمده الا أمام حامل سيف مثله ، والسيل الجارف لا يتوقف عن جريانه الا اذا وجد في وجه سدا يعترض طريقه ، والظالم الا اذا وجد بين يديه ضعيفا والمثال لايحتال الا اذا وجد أمامه غبيا ، والناس لا يتحامون ، ولا يتحاجزون ولا يأمن بعضهم الا اذا برزوا جميعا في ميدان واحد يتقلدون سلاحا واحدا من نوع واحد) «٢»

ويلحظ المنفلوطي فرقا كبيرا بين الدعوة الى خلق متين كقيمة وبين ماأراد ، وسهولة مايبصر من الشرك الذي ينصب على اشلاء الاخلاق الزائفة ، والضلال المدبر المموه بطلاء من السجايا والمحامد رغبة في صرف الناس عن الحياة ، وحبا في الاستئثار بطيبات الحياة الدنيا فيكشف المنفلوطي النقاب عن

---

(١) النظرات ج ٣ ص ١٤٣

(٢) النظرات ج ٣ ص ١٦٧

تلك التصرفات المريبة والدعاوى المزيفة (ان الدعاء الى البر والاحسان والرحمة والشفقة والعدل والانصاف والصدق والاخلاص في هـذا العصر انما هو حبالة ينصبها الأقوياء الماكرون للضعفاء الساذجين ليخدعوهم بهـا عن مائدة الحياة التي يجلسون عليها وليستأثروا بها من دونهم ، فـلا يدعوا الداعي الى الكرم الا لينقل ما في جيوب الناس الى جيبه ، ولا الى العفـــو الا ليصيب من يشاء دون ان يناله من الشر شيء ، ولا الى القنـاعة الا ليقلل من سواد المزاحمين له على اعراض الحياة ومطامعها ، ولا الى الصدق الا ليحظى وحده بثمرات الكذب ومزاياه) «١»

وتكمن العلة في تلك الاخلاق الزائفة نتيجة للتقليد الغربي ، وهياما بكل اجنبي ، ومما يؤسف له أن المصري لايرى في الغربي الا مساوئه ولا يأخذ عنه غير التافه في الأمر ولا يحاكيه الا في الصغار والشنار ، واولى به ان أن يقلده في الايجابي من اخلاقه والممتاز من صفاته . ولكن قاتـــل الله الاخلاق المدخولة ، والخلال الزائفة والاعراف الداعرة (يريد المصري ان يقلد الغربي في نشاطه وخفته ، فلا ينشط الا في عـدوانه وزغانه ، فاذا جد الجد واراد نفسه على ان يعمل عملا من الاعمـــال المحتاجة الى قليل من من الصبر والجلد دب الملل الى نفسه دبيب الصهباء في الأعضاء «٢»

ويرجع سوء الفهم الى ضعف الاخلاق العامة . فان المصري كلما هم بتقليد

---

(١) المرجع السابق

الاوربي لم يجد أمامه غير النماذج القحة ، والسلوك المشين لأن ذلك تحبه النفوس وتخفف مؤتمر على الناس ويشبع رغبة جامحـــة ، وتطلعات شيقة والمنفلوطي ينعي على المصري هذا التقليد المخزي ويشجب ذلك السلوك المشين . حتى يصل بالمصري الى سبيل الرشاد (يريد أن يقلده في رفاهيته ونعمته فلا يفهم منها الا ان الأول التأنث في الحـــركات والثانية الاختلاف الى مواطن الفسق ، ومخابيء الفجور) «١»

حتى عندما يقلد المصري الاجنبي في الدفاع عن الحق ، يقـلده في القشور دون اللباب ويهتم بالظاهر الواهن دون الباطن القوي ، وما ذلك الالأنه لم يقف على المغزى ولم يفقه الغرض ، ولم يعرف الحكمة مما يأتي ، ولا الاثر في مايذر .

(يريد أن يقلده في الوطنية فلايأخذ منها الا نعيقها ، وضجيجها وصفيرها . فاذا قيل له هذه المقدمات . فأين النتائج ؟ أسلم رجليه الى الرياح الاربع .

واستن في فرارة استنان المهر الارمة . فاذا سمع صفير الصافرات رجلا . واذا رأى غير شيء ظنه رجلا) «٢»

فاذا أعرضنا عن ذلك . وجدنا المصري عنـــدما يقلد الغربي في ما يفيد لا يحسن ذلك أيضا يقلده في العلم فلا ينقل عنه غير جمل مبتورة ، وقضايا يؤمن بها لسانه ، ويقنع بما يعثر عليه من زهيد الفائدة ، وقليل الجدوى .

---

(١) المرجع السابق .

(٢) النظرات ج ١ ص ١٢٢ .

(يريد أن يقلده في العلم فلا يعرف من الكلمات يرددها بين شدقيه ترديدا لا يلجأ فيه الى ركن من العلم وثيق ولا يعتصم به من جهل شائن ، يريد أن يقلده في تعليم المرأة وتربيتها فيقنعه من علمها مقالة يكتبها في جريدة ، أو خطبة تخطبها في محفل ومن تربيتها التفنن في الأزياء ، والمقدرة على استهواء النفوس ، واستلاب الألباب)(١)

واذا كان ذلك مبلغ علمه في الفضائل الغربيـــة فكيف به في رزائلها ؟ لاريب إن ذلك يدفع بالمجتمع الى الهاوية ، ويقذفه في خضم التيه ، ويسير به نحو الردى .

وماذا ينتظر المجتمع من أناس لايفرقون بين خير يراد وشر يكاد ؟ ولا يميزون بين البين من الأمور فكيف بالمشتبه منه ؟ لا ريب في ان ذلك خطر داهم يجب التنبيه عليه ، وشر تجب الحيطة منه ، ولن يتقدم مجتمع . (هذا شأنه في الفضائل الغربية يأخذها صورة مشوهة وقضية معكوسة . لايعرف لها مغزى ، ولا ينتحى لها مقصدا فيكون مثله كمثل جهلة المتدينين الذين يقلدون السلف الصالح في تطهير الثياب ، وقلوبهم ملأى بالاقذار والاكدار

أما شأنه في رزائلها فانه أقدر الناس على أخذها كما هي ، فيتحر كما ينتحر الغربي ، ويلحد كما يلحـــد ، ويستهتر في الفسوق استهتاره ، ويترسم في الفجور أثاره) (٢)

---

(١) النظرات ج ١ ص ١٢٢ .   (٢) المرجع السابق .

وذلك التقليد الأعمى الذي يسير فيه ، وتلك الاخـــلاق الزائفة التى لا تصنع رجلا ، ولا تخلق رجالا ومجتمعا ذا صبغة وعرف . قد جروا على الأمة العربية الضعف الثقافى . والتهاون الفكرى ، وأنشأ جيلا مبتوت الصلة بماضيه ، واهن الأصول ، لايعرف تاريخه ولا يدرى ماله من قيم واصالة وأدى ذلك الى الانهيار والثبور . (أن عارا على التاريخ المصرى أن يعرف المسلم الشرقى من تاريخ بونابرت ما لا يعرف من تاريخ عمـــرو بن العاص ، ويحفظ من تاريخ الجمهورية الفرنسية مالا يحفظ من تاريخ الرسالة المحمـدية ، ومن مبادىء ديكارت وأبحاث داروين مالا يحفظ من حكم الغزالى وأبحاث ابن رشد ويروى من الشعر لهوجو . مالا يروى للمتنبى والمعرى) «١»

وما يشن المنفلوطى تلك الحملة الا من فرط حبه لوطنـــه ، وجدبه على بلدة ، وخشية أن تندثر معالم البلد بين أنياب الغربى ، وتضيـع سمات الشرق وتتبدد ملامحه لدى الزحف الغربى المتوثب .

ويدق المنفلوطى ناقوس الخطر معلنا توقع البلاء ، ومحذرا من مغبة ذلك السلوك المريب . فيجأر فى صدق لا يدانية صـــدق ، واخلاص دونه كل اخلاص ، وما يحثه على صنيعه ذلك الا لأن (الأمة المصرية أمة مسلمة شرقية فيجب أن يبقى لها دينها وشرقيتها ماجرى نيلها فى أرضها ، وذهبت أهرامها فى سمائها . حتى تبدل الأرض غير الارض والسموات) «٢»

---

(١) النظرات ج ١ ص ١٢٣

(٢) النظرات ج ١ ص ١٢٠

المـــرأة :ـ

تشغل المرأة حيزا كبيرا فى الآداب العالمية ، ويرجع ذلك الى مالها من مكانة ، وما تتمتع به من امكانيات يزعن لها الأدباء ، ويؤمن بها كل من يحمل قلبا .

والمرأة وقضاياها شغلت أذهان الفلاسفة وأخـــذت جانباً لابأس به من اهتماماتهم . ولها في الاسلام مكانة تحسد عليها ، ومنزلة لم تنلها في تشريع غير القرآن .

وفى العصر الحديث استحوذت المرأة لى كتابات الأدباء والمصلحين تبعا للمكانة الجديدة التى حظيت بها فى المجتمع الصناعى ، وما أتى به من قيم جديدة ، وأعراف كانت منكرة أو مجهولة فى الغابر .

والمطلع على أدبنا العربى الحديث يلاحظ الاهتمام البالغ للمرأة وقضاياها . ولعل الجبرتى كان أول من أهتم بها ولكن الذى جسم قضاياها وأثارها هو الرائد العظيم رفاعة رافع الطهطاوى فهو أول من دعا الى تعليمها ، ونبذ ماهى عليه من جهل وتخلف .

ولقد أرجع الناس كل فضل كسبته المرأة الى قاسم أمين بتأليفه كتاب (تحرير المرأة) سنة ١٨٩٩ م . والرجل كان يدفعه الامام محمـــد عبده دفعا الى ذلك ومما تجدر ملاحظته أن الشيخ حمزة فتح الله قد سبق (قاسم أمين) فى عمـــله :

حين ألقى بحثا ضافيا عن حقوق المـــرأة سنة ١٩٨٩ فى استكهولم لدى

مؤتمر المستشرقين وكان عنون بحثه (باكورة الكلام على حقوق النساء في الإسلام) .

ولقد عالج المنفلوطي قضايا المرأة ، وأثار حولها جدلا وحوارا ، مسددا سهامه الى القائمين على الامر ، ومصوبا لومه تجاه التربية السيئة ، والمفاهيم الخاطئة .

وأول ذريعة يتخذها المغرضون قوله تعالى (الرجال قوامون على النساء) ويستحلون تلك الآية كل جريرة ، ويستبيحون كل جرم . ناسين ما للمرأة من فضل وما فيها من خير .

(نعم الرجال قوامون على النساء كما يقول الله تعالى في كتابه العزيز ولكن المرأة عماد الرجل وملاك أمره ، وسر حياته ، من صرخة الوضع الى آنة النزاع) (١) .

ويتساءل المرء عن سر اهتمام المنفلوطي الشيخ بالمرأة ؟ والجواب سهل يسير فالمرأة هي الحياة ولا يستطيع الانسان أن يحتمل الحياة بلا امرأة . ولا سيما الجانب المعنوى والموحي فيها . اذ المرأة قادرة بما أوتيت أن تحيل دمعة الرجل الى بسمة ، وحلكة لياليه الى ضياء ، وتعينه على نوائب الدهر ، وصروف الزمن .

(وجملة القول ان الحياة مسرات واحزان ، أما مسراتها فنحن مدينون فيها للمرأة . لأنها مصدرها وينبوعها الذى تتدفق منه ، (أما أحزانها فالمرأة

---

(١) النظرات ج ٣ ص ٨٨

تتولى تحويلها الى مسرات ، أو ترويحها عن نفوس أصحابها على الأقل ، فكأننا مدينون للمرأة بحياتنا كلها «١»

وهناك ذريعة أخرى يتوكأ عليها من يريد الاضـــرار بالمرأة يتهمها بضعف الفهم ، وقصور الادراك مستغلا الاثر الذى يقول : المرأة أقل من الرجل عقلا ودينا . وزاعما أنها لم تخلق الا متعة للرجل ، وراحة له ، وتسلية لوقته ، وتزجية لفراغه . ويتصدى المنفلوطي .

(انها تفهم معنى الحياة كما يفهمها الرجل . فيجب أن يكون حظها منها مثله . انها لم تخلق من أجل نفسها فيجب أن يحترمها الرجـــل لذاتها ، لا لنفسه) «٢» .

ويناقش المنفلوطى تلك الظاهرة المخادعة التى يديها الرجل تجاه المرأة من حنو وعطف ورحمة وقد زعموا أن ذلك غاية التكريم ، ونهاية الاجلال ، ممتنين عليها بتعليمها الفاسد ، وتربيتها السيئة ، ولكن المنفلوطي يحـدد تلك الاوضاع ويضعها فى نصابه الصحيح ، ويرد على السفهـــاء كيدهم ويسفه أحلامهم فى قوة وردع .

(قد نحنو عليها ونرحمها رحمة السيد بالعبد ، لارحمة الصديق بالصديق . وقد نصفها بالعفة والطهارة ، معنى ذلك عندنا أنها عفة الخدر والحياء ، لا عفة النفس والضمير ، وقد نهتم بتعليمها وتخريجهـــا ، ولكن لا باعتبار أنها

---

(١) النظرات ج ٣ ص ٨٨
(٢) النظرات ج ٣ ص ٩١

انسان كامل ، لها الحق فى الوصول الى ذروة الانسانيـة التى تريدها والتمتع بجميـع صفاتها وخصصائصها . بل لنعهد اليها بوظيفة المربيـــة والخادم والمرضة أى أننا ننظر اليها بالعين التى ننظر بهـا الى حيوانا تنا المنزلية . المستأنسة ، لانسدى اليها من النعم ولا نخلع عليها من الحلـل الا ماينعكس منظره على مرآة نفوسنا فيملؤها غبطة وسروراً)«١»

ويضع المنفلوطى يده على أسس البلا . ويرى أن مرد وتلك المعاملة الى الجهل المخيم على الرجل والمرأة كليها ، ويجب علينـــا اذا أردنا أن نقى مجتمعنا مضار الفساد ، وعاقبة الد ار أن نعمل على تعليمها وتوجيهها الوجهة الصحيحة . إذ ترجع الاخطاء التي تتردى فيها المـــرأة الي الجهل وترجع المعاملة السيئة التى يتعامل بها الرجل مع المرأة الى الجهل أيضا . وليس هناك من سبيل الا تعليمها وتهذيبها .

(اذا اردنا أن تنال المرأة حقها من الرجل ، وان تنتصف منه ، فليس سبيلها الي ذلك المغالبة والمصارعة ، بل السبيل اليه أن نعلمها لتعرف كيف تستعطفه وتسترحمه . وكيف تحمله على اجلالها واعظامها . وان نعلمه ليستطيع أن يكون شخصاً كريما وانسانا رحيما) «٢»

ويراقب المنفلوطى الأمور فإذا بالمرأة سجينة قد ضرب عليها بسياج من التحكم ، لا تلى من أمر نفسها شيئا ، ولا تملك أن تقبل أو ترفض ، وانما

---

(١) النظرات ج ٢ ص ٤٢

(٢) النظرات ج ٢ ص ٩١

هى رهينة وديعة ، لاتتمتع بحرية ، ولا تتحمل مسئولية ، قد حيل بينها وبين إرادتها ، وليس في ذلك ما يرضى به الدين ، ولا تحض عليه المروءة ولايقبله الانسان السوى ، وإنما الغطرسة التركية ، وتأثير عصر الحريم ، والفهم السقيم لآيات الله . وحب الغلبة والتسلط . وهنا يصرخ المنفلوطي . (يجب أن ينفس عنها قليلا من ضائقه سجنها ، لتفهم أن لها كياناً مستقلا . وحياة ذاتية وأنها مسئولة عن ذنوبها وآثامها وضميرها لا أمام الرجل .

يجب أن تعيش فى جو الحرية الفسيح ، وتستروح رائحته الاريجة ، ليستيقظ ضميرها الذى أخمده السجن والاعتقال من رقدته ، ويتولى بنفسه محاسبتها على جميع أعمالها ومراقبة حركاتها وسكناتها . فهو أعظم سلطاناً وأقوى أيداً من جميع الوازعين المسيطرين .

يجب أن نحترمها لتعود احترام نفسها ، ومن احترم نفسه كان أبعد الناس عن النزلات والسقطات) وقد يفهم من ذلك أن المنفلوطي يدعو للسقوط ، ويحبذ السفور والخلاعة ، ويدفع بالمرأة دفعاً الى مراتع العبث والمجون . والحقيقة أنه وسط لا يحب لها القيود الحديدية والاغلال التى تعوق تفوقها ، ولا يرضى لها أن تتردى فى درك الرزيلة وتنحدر إلى قرار الهاوية وتسقط وتضيع .

لا أريد أن تخلع المرأة وتستهتر ، وتهيم على وجهها فى مجتمعات الرجال وأنديتهم ، وتمزق حجاب الصيانة والعفة المسبل عليها ، كذلك لا أحب أن تكون جارية مستعبدة للرجل ، يملك عليها كل مادة من مواد حياتها ويأخذ عليها كل طريق حتى طريق النظر والتفكير) . (١)

---

(١) المرجع السابق

ويرجع المنفلوطي كل ما ينال المرأة إلى الرجل، ويحمله تبعة ذلك لأن المرأة في نظر المنفلوطي اما أن تكون مساوية للرجل فيجب عليه أن يعاملها بالمثل وإما أن تكون أقل منه ذكراً وأخلاقاً وثقافة فيجب عليه أن يرفعها إلى منزلته وأن يعمل على تهذيبها وترقيتها من غير اساءة ولا استهجان

(اما أن تكون المرأة مساوية للرجل في عقله وإدراكه . أو أقل منه . فان كانت الأولى فليعاشرها معاشرة الصديق للصديق ، والنظير للنظير ، وان الأخرى فليكن شأنه معها شأن المعلم مع تلميذه ، والوالد مع ولده أي أنه يعلمها ويدربها، ويأخذ بيدها حتى يرفعها إلى مستواه الذى هو فيه ليستطيع أن يجد منها الصديق الوفي والعشير الكريم. والمعلم لا يستعبد تلميذه، ولا يستذله والأب لا يحتقر ابنه ، ولا يزدرية) (١)

ويحمل المنفلوطي حملة شعواء على جهل المرأة ، ويكاد يعتقد أنه سبب بلائها وأصل شقائها ولقد يحاول البعض أن يغفر للمرأة الغنية جهلها ولكن المنفلوطي يرى أن ذلك خداع ومين . اذ المرأة الجاهلة عالة على سواها في التفكير والإدراك ولا تصلح لما تقوم به من رعاية البيت والقيام بأمره ، ولا تحسن معاملة زوجها وأولادها وتجهل مواطن الرشاد ، وأسباب الرقى فتكون — بذلك رزءا لايحتمل وحملا ثقيلا . وبلاء دونه كل بلاء ، يقول على لسان زوج معذب يعاني ويكابد .

(زوجني أبي منذ سنين من زوجة جاهلة غنيـة ، لاتفهم من معنى الزواج الا أن فيه قضاء لبانتها ، وترفية عيشها ، وارضاء نفسها وهو يحسب أنه قد أحسن الى بسليلة المجد ، وربيبة النعمة ، ومالكة الدور ،

---

(١) المرجع السابق

وساكنة القصور أجل . أنها ذات مثال وفير ، وخير كثير ولكن ذهب عنه ـ غفر الله له ـ أنني ما كنت أريد أن أكون تاجراً أكسب مالا . بل زوجاً أجد بجانبي نفساً يؤنسني محضرها ، ويوحشني مغيبها ومرآه صافية نقية أتراءى فيها فتريني نفسي كما هي . لاتكذبني في خير وشر . وأنني أريد أن أجد في الزوجة التي أتزوجها صديقاً في المرتبة العليا من مراتب الصداقة ومن لي به في امرأة تجهل حتى ارضاع طفلها ، ولبس ثوبها) (١)

وإذا كان المنفلوطي يصب جام غضبه على المرأة المتخلفة محاولا النهوض من كبوتها والارتقاء بها الى مستوى لائق بالانسان الكريم . فانه لا يقف مادحا المرأة المتفرنجة ومقرظا سبيلها في السلوك . لأنه لايتواءم ومجتمعنا شرقياً له عاداته وتقاليده . وذلك التنافر الى ان المرأة لم تعرف من الحضارة الغربية غير الاصباغ والسلوك الشائن ، ولم تتأثر إلا بالظاهر من القول .

(انها امرأة قد أخذت الزينة الحديثة من نفسها ، اخذا عظيما فحولتها إلى فتاة غربية في جميع شئونها وأطوارها والرجل المصري شرقي بفطرته كائنا من كان . أما غربيته فهي متكلفة متعملة) (٢)

ونتيجة للجهل الذى نشأ والاخلاق الزائفة التي راجت ، والظروف الاجتماعية السيئة والتي استدعى حلها انتشر الفساد وكثرت البغايا .

والمنفلوطي يعالج تلك الظاهرة علاجا فيه شيء من الطرافة فيقترح قيام الرجال متزوجين وغير متزوجين بالاقتران بهن لتحصينهن ودفعا لغائلة الضياع

---

(١) المرجع السابق

(١) النظرات ج ١ ص ٦٨ .

(ليت الرجال يتفقون جميعاً على أن يستنقذوا كل امرأة ساقطة ، ساقها فقرها وعدمها . أو فقد عائلها الى البغاء . بل ليتهم يتفقون على الزواج منهن قبل ان تضيق حلقات العيش فيسقطن) (١)

ويكرر هذا الاقتراح مرارا لأنه يرى فيـــه بعض الدواء لهذا الداء . وطريقا من طرق التضـامن الاجتماعى (لم لا يكون بابا من أبواب الأحسان أن يتفقد المحسنون من الرجال الفقـــيرات من النساء ، فيتزوجوا منهن ، أو يزوجوهن من أولادهن وأقربائهن)(٢)

ويرجع المنفلوطى كل اسباب هذه الرزيلة الى الرجل حاكما وأخا ووالدا ومادامت تلك جريرته ان يتحمل تبعتها وبوء بجرمها

(البغاء للبغى شقاء . ما جناه عليها الا الرجل . فجدير به ان يغرم ما اتلف . ويصلح ما افسد) (٣) ويبلغ تعاطفه مع البعض أقصـــاه حينما يحمل المجتمـع اعباء جنايتها ، ويرجع كل أسباب سقوطها اليه وانحدارها له . وهى معـــذورة فكم حاولت ان تسلك طريق الرشاد فاخفقت ولم تجد امامها غير طريق البغى . ينبذها المجتمع لأنها ساقطة في زعمه ، وتبتغى العمل الشريف فلا تعثر عليه لأنهـا جاهلة لا تحسن وإنما تفسد ، وتطلب القوت عن طريق التسول فلا تمتد اليها الأيدى بالرحمـــة . لأن الرجال يضنون بالمـال فى الخير ويسخون به فى الضلال .

---

(١) النظرات ج ١ ص ١٧٩

(٢) المرجع السابق ص ١٩٤ (٣) نفس المرجع

(تطلب العيش عن طريق الزواج فلا تجد من يتزوجها . لأن الرجل يسميها ساقطه ، وتطلبه عن طريق العمل فلا تجد ما تحسنه منه . لأن الرجل اهمل شأنها فلا يعلمها من العلم ما تستفيد به على ضائقة العيش وتطلبه عن طريق التسول فلا تجده لأن الرجل يؤثر ان يمنحها القنطار حراما على ان يمنحها الدرهم حلالا . فلا تجد لها بدا من ان تطلبه عن طريق البغاء) (١)

وعلى ذلك فالرجل مسئول عن تدهير المرأة ، ويطالب بتصحيح ما اخطأه وتعويضها عما فقدت ، ومادامت تلك جريمة فلا مناص من ان يجــد لها حلا ومخرجا .

(ان أبى الرجل ان يتزوج المرأة بغياً . فليحل بينها وبين البغاء)

وقصارى القول ان ما نحن فيه من مشكلات ومآسى وانما مردها إلى الجهل العام الذى يطبق على المرأة والرجل . فجهل المرأة قـد حال بينها وبين الانتصاف ، وحسن المعاشرة وجعلها أشبه شيء بالحيوان . ومن يطيق معاشرة غير الأليف . ؟ وجهل الرجل جعله يزعم ان ملاك الأمر السيادة والجبروت فتسلط وتحكم . وساس أموره بالمصـــارعة والغلبة فتقطعت عرى المودة ، وانقطعت وشائج الود ولم يبق غير الشقاق والنفاق والمداهنــــة وهيهات ان تستمر حياة مقومتها أوهى من بيت العنكبوت .

ولكى تجـد مخرجاً من ذلك . ونعثر على حـل لمـا نحن فيه . (وإذا اردنا ان تنال المرأة حقها من الرجل ، وان تنتصف منه ، فليس سبيلهـا إلى

---

(١) نفس المرجـــع .

ذلك الغالبة والمصارعة . بل السبيل إليه ان نعلمها لتعرف كيف تستعطفه . وكيف تحمله على اجلالها واعظامها . وان نعلمه ليستطيع ان يكون شخصاً كريماً ، وانساناً رحيماً .)

وإذا كانت معالجة المنفلوطي للرزة فيها الاقتراح والحل والعلاج الذى يبتر الداء ويجتث الألم . فليست معالجة تامر امين عن ذلك ببعيد .

الـــدين :

(ومن أراد ان يدرس المعتقدات فى عصر من العصور فمن أقرب وسائل ان يراجع آراء أدبائه فيعرف منها أنماطا صالحة لتصوير تلك المعتقدات) (١)

ومن هنا كان من الضرورى لمن يريد الوقوف على أحوال العقيدة أن يدرس أراء الأدباء

والمنفلوطي له جولات في الدين وآراء جديدة ربما انفرد ببعضها، ولكنها على كل حال آراء تنم عن سماحة فكرية وتعرب عن أديب له اهتمامات دينية وثقافية

والمنفلوطي ـ باعتباره سليل أسرة لها طابعها وبانتمائه الى الأزهر كان لابد له ان يكتب فى الدين ولكن لا على اسلوب نمطى ، وطريقـــة تقليدية ويربط المنفلوطي بين الدين والوطن برباط عجيب زاعما انهما لا يفترقان ، غير مؤمن بما يدعيه بعض من فى قلوبهم مرض من الذين يفرقون بين الدين والوطن فينسلخون من دينهم ويدعون الحفاظ على وطنهم وحرصهم على انهاضه ولكن المنفلوطي يصدع بما يرى فى صراحة وصدق .

---

(١) عقائد المفكرين ص ١٠٦ للعقاد طبعة مكتبة غريب الفجالة .

(من لا خير له فى دينه لا خير له فى وطنه) (١)

وعندما يصر فتية فى مصر يصدفون عن دينهم ، لأنه غدا لا يناسب الحياة المعاصرة ولا يشاكل المجتمع المتطور ، وليس لديه ما يعالج ما يعنى الشباب من سدود وقيود ، فيدفع المنفلوطي تلك التهم ، ويفند هذه المزاعم

(ان الدين الاسلامى ماغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها ولا ترك الانسان يعيش في ميدان هذه الحياة خطوة من مهده الى لحده الا مد يده اليه وأنار له مواقع أقدامه وارشده الى سواء السبيل .) (٢)

ولم يتخذ المنفلوطى من ذلك المنطق سبيلا الى الشهرة ومددا الى الرفعة ولكنه كان يصدر عن عقيدة راسخة وإيمان جم ونظر فى العواقب والدوافع.

ولقد كان جديرا به ان يفعل ما صنع ما دام علماء الدين غدوا على حد تعبير احمد محرم

أرى علماء الدين لا يحفظونه ولا يعرفون اليوم رتبته العليا

هم اتخذوا ما ادركوا من علومه سبيلا الى ما يشتهون من الدنيا

فضاعوا وضاع الدين ما بين أمة همو شرعوا فيها الضلالة والغيا (٣)

ولذلك فنحن نعيش فى جاهلية ربما كانت أشد ضراوة من الجاهلية الأولى

(انا نعيش فى جاهلية أظلم وأفسد من الجاهلية الأولى .) (٤)

---

(١) النظرات ج ص ١٩٨

(٢) النظرات ج ١ ص ١٥٨

(٣) ديوان احمد محرم ج ٢ ص ٨٠

(٤) النظرات ج ٣ ص ١٢٨

وجدير بكل من أنعم النظر فى سبيل معيشتنا أن يدرك مدى التفاوت بين جاهليتنا والجاهلية الاولى ويوجز المنفلوطي ذلك فى قوله

(كانت الجاهلية الأولى تعبد الأوثان لتقربها الى الله وجاهليتنا تعبد الاحجار والاشجار والاحياء والاموات والابواب والسكون والقواعد والاساطين تبركا أو تقربا بالعظام والرفات فهما مختلفان لفظا متفقان معنى ومن ظن ذلك فقد خدع نفسه ، كانت الجاهلية الأولى متفرقة قبائل وشعوبا وجاهليتنا متفرقة منازل وبيوتا بل أحادا وأفرادا فلا تزاحم ولا تواصل ، ولا تعارف ولا تعاطف حتى بين الاخ وأخيه ، والأب وبنيه كانت جاهليتهم تسفك الدماء فى طلاب الأوتار وجاهليتنا تسفكها فى سبيل المرقات وقضاء الشهوات .)(١) .

والمنفلوطي يدرك ادراكا لا مرية فيه أن واقع المسلمين لاذنب للاسلام فيه ولا جريرة له . ومن الغبن أن نطلق الأحكام جزافا بلا تميز ونصدر التعليقات من غير فهم أو روية . فهو يقول (إلا أنكر ما لحق بالمسلمين فى هذه القرون الأخيرة من الضعف والفتور ، وما أصاب جامعتهم من الوهن والانحلال ولكن ليس السبب فى ذلك الاسلام .) (٢)

ويرجع المنفلوطي جانبا من الاصلاح إلى علماء الدين الذين بدلوا نعمة الله كفرا واحلوا دينهم دار البوار ولم يحملوا الامانة في صدق وإنما

---

(١) النظرات ج ١ ص ١٧٠

(٢) المرجع السابق .

انحرفوا بها وشوهوا جمالها . (ليت الفقهاء الذين ينفقون أعمارهم في الحيض والاستحاضة والمذى والودي والحــدث الأكبر والحدث الأصغر وليت الكلاميين الذين يحاولون أن يراوغوا الله في مشيئته وربمــا جاذبوه قدرته ويغالبوه على أمره ونهيه ويزاحموه في لوحه وقلمــه ، ويقرحون المآقى في عينية الصفات وغيريتها والجــوهر والعرض والحدوث والقدم والدور والتسلسل يعرفون من سر الدين وحكمتــه والغرض الذى قام له ما يعرف هؤلاء البله الاغرار الذين لايعرفون معنى الجنــة والنار ، ولا يميزون بين الدين والتين «١»

وهال الرجل ان ينحدر المسلمون الى ذلك الدرك ويصلوا الى تلك الحالة فلم تقم فيهم طائفة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وانما استباحوا الحرمات وتجرأوا على الموبقات .

(لقد هان على المسلمين أمر أنفسهم حتى لو وجدوا بينهم من يرى التقية في عمله أو الاحتشام في أمره سموه جبانا جامدا أو متطلقا باردا ، كل ذلك على مرأى ومسمع من الحكومة الاسلامية والمعاهد الدينية والقضاءين الشرعي والنظامى) «٢»

ويسكن ذلك الداء الوبيل فى جهــل العلماء واستكانتهم ورضوخهم لتزييف المغالط وتعمية المتحذلق وخشيتهم للباطل ورهبتهم مصاولة الجهل ومنازلة الأعداء الذين يحيفون الدين ويكيدون له .

---

(١) النظرات ج ١ ص ٦٤

(٢) النظرات ج ٣ ص ١٢٩

(لا يستطيع الباطل أن يصدع الحق في ميدان ، لأن الحق وجود الباطل عدم انما يصرعه جهــــل العلماء بقوته ويأسهم من غلبته واغفالهم النداء به والدعاء اليه) .

ويرى المنفــلوطي أنه يلزم على المسلمين أن يميزوا الخبيث من الطيب ويسموا الاشياء بأسمائها ويتتبعـوا أثار من أرادوا أن يلبسوا عليهم دينهم اذ أكثر أدواء المسلمين آتية - لا ريب - من أعنائهم الذين ارتدوا عن الاسلام ليكيدوا له واقتربوا من المسلمين ليوهمـوهم ويقضوا عليهم . ويقضوا عليهم . يخاطب اللورد كرومر منتقدا زعمه في ارجاع حال المسلمين السيء الى دينهم ، قائلا له في حرية .

(بل المسيحية التي سرت عدواها اليهم على أيدى قوم من المسيحيين أو أشباه المسيحيين لبسوا لباس الاسلام وتزيو بزيه ودخلوا بلاده وتمكنوا من نفوس قومه الضعفاء وأمرائه الجهلاء فأمدوهم بشيء من السطوة والقوة .

تمكنوا بها من نشر مذاهبهم السقيمة ، وعقائدهم الخرافية بين المسلمين . حتى أفسدوا عليهم مذاهبهم وعقائدهم . وأوقعـوا الفتنـة بينهم وحالوا بينهم وبين الاستمداد من روح الاسلام وقوته ، فكان من أمرهم بعد ذلك ما كان (١) »

ويمعن في ذلك المسلك فيرجع أكثر ما يراه من زيف ودجل . الى التأثير الأجنبي والزحف العدائي ، والاسلام براء من كل ما يقـع فيه معتنقوه .

(كل ما تراه اليوم بين المسلمين من الخلط في عقيدة القضاء والقدر .

---

(٢) النظرات ج ١ ص ٢١٥

وعقيدة التوكل، وتشييد الأضرحة، وتجصيص القبور وتزيينها، والترامي على أعتابها، والاهتمام بصور العبادات وأشكالها دون حكمها وأسرارها .

وأسناد النفـــع والضرر الى رؤساء الدين . وأمثال ذلك . أثر من آثار المسيحية الأولى . وليس من الاسلام في شيء (١)

والمنفلوطي في معالجته للدين لا يفصل ـ كما رأينا ـ بين الدين بأعتباره نظرية وعقيدة وبين المتدين الذي يدين بذلك . واذا كان لا بد أن يتخلص المسلم من كل ما يشينه من غرائب العادات، وهجين الخلال، فأولى بعلماء الدين ثم أولى بهم أن يتحرروا مما رأينا عليهم من جهل وغواية، وأتخاذ أحكام الدين حيلا وأفانين والاعيب حتى وجدنا لفيفا من الذين يدخلون في القفطان وتعليهم العامة يولعون بما يسمي بالحيل الشرعية .

وكان جديرا بهم أن يوهنوا من قدر ذلك الصنيع ويضربوا على يد من يتناوله . فاذا هم يتفننون في أسقاط واجب، وأهدار مندوب والخروج من مطلب أو التزام . . ويصب عليهم المنفلوطي سوط عذاب، ويتخيل نفسه في الدار الآخرة فيشاهد هذا المنظر الفكاهي .

(رأينا كوكبة من ملائكة العذاب تحيط برجل يساق الى النار، ورأينا في يد كل واحد منهم مقرعة من الحديد يقرع بهـــا رأسه . وهو يصرخ ويقول (أهلكتني يا أبا حنيفة) فسألت صاحبي : ماذنب الرجل ؟ فقال : أنه كان في حياته يتخذ في أعماله ما يسمونه الحيـــل الشرعية . فكان يهب

(٢) المرجع السابق ص ١٧٠

ماله لأحد أولاده على نية أسترداده قبل أن يحول عليه الحول ليتخلص من فريضة الزكاة ويطلق زوجته ثلاثا ثم يأتى بمحلل فيعود لمعاشرتها ، وكان يرابى باسم الرهن .

وكان إذا حلف لا يدخل بيتا دخله من نافذته ، أو لايأكل رغيفا أكله الا لقمة منه . فقد نبه أنه كان يعمـــد الى الاحكام الشرعية فينتزع منها حكمها وأسرارها . ثم يرفعها الى الله قشورا جوفاء يخدعه بها ويغشه فيها كما يفعل مع الأطفال والبله . مستندا على تقليد ابى حنيفة أو غيره من كبار الأئمة . وأبو حنيفة أرفـع قدرا وأهدى بصيرة من أن يتخـــذ الله هزؤا وسخرية ، وأن يكون ممن يهدمون الدين باسم الدين «١»

ويوسع المنفلوطى من حملته لتشمل مشايـــخ الطرق من الذين يعيثون فى الأرض فسادا ويخدعون العامة وينسبون للاسلام ما ليس منه ، ويأتون ببدع من العمل ومنكر من القول وزور .

(جلست فى مجلس يتصدره شيـــخ من تجار العقول الضعيفة المعروفين بمشايخ الطرق . وقد حف به جمـــاعة من عبدته ، وسدنه هيكله فسمعته يشرح لهم معنى التوكل شرحا غريبا يذهب منـه الى انه القعود عن العمل ، والقاء حبل هذا الوجود على غاربه ، والأعراض عن كل مسعى الى أية غاية ويعتمد فى هذيانه على آيات يؤولها كما يشاء . (أحاديث لا يستند فى صحتها على مستند . سوى أنه سمعها من شيخه «٢»

---

(١) النظرات ج ١ ص ١٢٦

(٢) النظرات ج ١ ص ١٢٧

ويروق للمنفلوطي أن يصف تلك الفئة بتجار الدين . وهو مصطلح جديد وجريء . لأنهم زيفوا حقائقه وشوهوا تعاليمه . وداهنوا ومانوا . وكسبوا من وراء ذلك عرضا زائلا ، وتجارة لن تروج وانما ستبور وتركد ينقل لنا المنفلوطي صورة طريفة لرجل في الدار الآخرة حوسب حساباً يسيراً .

(قلت : أنت من السعداء . فهل تستطيع أن تشفع لي ؟ أو تطلب لي شفاعة من ولي من الأولياء أو نبي من الأنبياء ؟ قال : لاتطلب المحال ولا تصدق كل مايقال فقد كنا مخدوعين في الدار الأولى بتلك الآمال الكاذبة التي كان يبيعها لنا تجار الدين بثمن غال ولا يتقون الله في غشنا . وخداعنا (١) »

ويحاول المنفلوطي أن يكشف زيف هؤلاء ، ويظهر الا عيبهم ويبين ان ظاهرهم خداع ونفاق . وباطنهم جهل وشره . وان تلك الادوات من لحية ومسبحة ومرقعة ولعاب يسيل وانتساب الى ولي . انما هي أحابيل يصنعونها في سبيل من يريدون اضلاله ، وشرك ينصبونه لمن يبتغون كيده واستغلاله .

يحكي لنا مشهدا راءه في الدار الآخرة عن الاشقياء . (رأينا شقيا آخر ذا لحية طويلة كثه قد أحاط به ملكان وشدا عنقه بسبحة طويلة ذات حبات كبيرة وقد أخذ كل منها ، وهو يهمهم بكلمات مبهمة . فيقرعة أحدهما على رأسه ويقول له : (أمكر وأنت في الحديد) ؟ !

---

(١) المرجع السابق .

قد فوت منه . وأنعمت النظر فى وجهه فعرفته . فتراجعت ذعراً وخوفاً وصحت : أيكون هـذا من اشقياء الآخرة وقد كان بالأمس من أقطاب الأولي ؟ فقال لى صاحبي : أن هذا الذى كنت تحسبه في اولاه من الاقطاب كان أكبر تاجر من تجار الدين . وما هـــذه اللحية والسبحة والمهمهة . والدمدمة . الا حبائل كان ينصبها لاصطياد عقول الناس وأموالهم . ولكن الناس لا يعلمون) «١»

ولم يقتصر على سلوك المتصوفة الشائن وانما شن حمـــلة على طريقهم فى العبادة ، وسبيلهم فى التقرب والزلفى اذ يأتون من الأعمال البهلوانية مايضحك ومن الحركات الجسدية ما يستخرج الكمد ويحدثون من الأصوات المنكرة ما لا يطيق بآدمي فضلا عن رجل دين في موقف خشوع وتقرب (ولذلك فالمنفـــلوطي ينفر من مجالس المتصوفة حيث الألعاب الجمبازية ، والحركات البهلوانية والمرقات بأسم الدين ، وانتهاك الحرمات بعنوان البركات)«٢»

ويحاول المنفلوطي أن يعيد للاسلام بهـــاءه ، وللدين نقاءه ، وللعقيدة جلالها وهيبتها . ويحرر المجتمع الاسلامي من تلك الترهات التى عكف عليها وهذه الخزعبلات التى يعتنقها زاعما أنهـــا تقربه الى الله زلفى ، غير مدرك لخطورة ما يأتى ، ولا مقدر مغبة ما يصنع . ومن أراد أن يقف على حقيقة القوم فيه فليرجع الى السلف الصالح . يستقرىء ما عملوا ويعرف ما كانوا . حتى يتبين أى الفريقين خيرا مقاما ، وأكثر رشدا . ويجأر المنفـــلوطى (هل تعلمون ان السلف الصالح كانوا يجصصون قبرا ؟ أو يتوسلون بضريح

---

(١) النظر ج ١ص ١٢٧ (٢) النظر ج ٣ ص ١٣١

وهل تعلمون ان واحدا منهم وقف عند قبر أحـــد من أصحابه وأهل بيته يسأله قضاء حاجة أو تفريج هم . ؟

وهل تعلمون ان الرفاعي والدسوقي والجيلاني والبدوي أكرم عند الله ، وأعظم وسيلة اليه من الأنبياء والمرسلين والصحابة والتابعين)(١) ؟ !!

واذا كان النبي عليه السلام قد مكث في مكة يدعو الى العقيدة ويصحح اليقين ، وينظف القلب فليس بدعا أن يحارب المنفلوطي تلك المفتريات ويحمل عليها في جسارة وعنف .

إنه يوقن بأن مصر سوف تظل مؤمنة بدينها مها اشتدت ضراوة الإلحاد . واستفحل أمر البغاة . وربما بدا في ظاهر الأمر تغير في الصفـات المصرية . والعلاقات الاجتماعية التي قد تتجافى عن تعاليم الاسلام وروحه . وليس ذلك بمنقص في تقدير المصريين لدينهم . ولا فخر عند المبادلة والنقد . وما ذلك الا لأن (الأمة المصرية أمة مسلمة شرقية ، فيجب أن يبقى لها دينها ، وشرقيتهـا ماجرى نيلها في أرضها ، وذهبت أهرامها في سمائها . حتى تبدل الارض غير الارض والسموات) (٢)

وليس من قبيل المصادفة أن يغضب المنفلوطي لدينه وأن يشن تلك الحملة على علماء الدين ورجالات التصوف في ضراوة وقسوة . لأنه رجل يغضب اذا انتهكت حرمات الانسانية ، وانقلبت مفاهيمها ومقاصدها .

---

(١) النظرات ج ٢ ص ١٢٧

(٢) النظرات ج ١ ص ٢١٧

(أنا لا أغضب لشيء الا اللاانسانية أن يخفر ذمامها ، وينقض عهدها) « ١ »
ورجل تلك طبيعته ، وأخلاقه تأخذ هذا النمط وذلك الاتجاه لا ريب في أنه يغضب لدينه ، ويهتاج لمقدساته .

وكم أدى تهاون العلماء وجهلهم الى ترويج أضاليل ومغريات ليست من الدين في شيء . بل غدا العلماء يأتون من الأمور المنكرة مايرفضه الدين ، وتأباه العقيدة وتنفر منة الطبائع السليمة لا المدخوله والفطر النقية لا المشوبة .

ولو سلمت العقيدة ، (لما وجدت في العلماء من يجمع بين اعتقاد الوحدانية ، وبين التردد على أبواب الأحياء والأموات . مزاراتهم . وفي مقابرهم .

ولا وجدت بين الذين يحفظون قوله تعالى « قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضر ومن يسند النفع والضر الى كل من سال لعابه ، وتمزق إهابه وجدت في الناس كثيرا من فقهاء يكثرون من رجم الانحراف . وذم الرذائل . ثم لا تجد فرقا بينهم وبين العامة في ارتكاب المنكرات والنفور من الصالحات « ١ »

واذا كان رواة الحديث قديما لا يعرفون معنى ما يحملون فاذا سئل أحدهم عن معنى مايروى قال معتذرا (أنما أنا زاملة) فقد أصبح علماؤنا في تلك الفترة يحرفون الكلم عن مواضعه . جهلا أو عمدا . ومن ذلك أن الامام الشيخ محمد عبده كتب مقالا جاء فيه (الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على

---

(١) النظرات ج ٣ ص ٢١٧ .

محمد وأبنائه المسلمين الاولين والآخرين) فوشي به أحد المغرضين الى الشيخ (عليش) وفسر كلمة (أساطين) بغير معناها. فقال انها جمع اسطوانة. وان هذا كفر بالأنبياء فغضب الشيخ عليش على محمد عبده وقال : اعطوني سكينا لذبح هذا الكفر فتدخل بعضهم في الشفاعة له. فعفا عنه بعد حلق رأسه) «١»

وتلك داهية دهياء، وخطب جلل ، فالمسلمون فى حاجة الى تصحيح العقيدة واعادة الوجه المضيء للشريعة من غير زيف ولا دين.

(والله لن يسترجع المسلمون سالف مجدهم ، ولن يبلغ ما يريدون لأنفسهم من سعادة الحياة الا اذا استعادوا قبل ذلك ما أضاعوه من عقيدة التوحيد) «٢»

ويجب أن يتصدى علماء المسلمين لتلك المهمة. ولكن مما يؤلم النفس خنوع العلماء، وتهاون العارفين، وانخراطهم فى سبيل الغواية والضلال. (بمن استجير واستغيث ؟ وبمن استنجد ؟ ومن أدعوه لهذه المهمة الفادحة ؟ أدعوا علماء مصر . وهم الذين قتلوا جمال الدين الأفغانى فيلسوف الاسلام ليتقربوا الى المهدى الصيادى شيخ الطريقة الرفاعية «٣»

وقد يغتفر المرء للعامة ويخلق لهم المعاذير ، أما علماء الدين فلا عذر ولا غفران ، وكيف يجد لهم الانسان مندوحه وأمامهم من الامكانات والظروف ما أمامهم ؟ ولديهم من القدرات ما لديهم ؟

(١) من مذكرات فتح الله بركات التى كان يمليها عليه سعد زغلول . ويراجع أيضا تطور الصحافة

(٢) النظرات ج ٢ ص ٦٠

(٣) يوم يكنس فيه ضريح الأمام الشافعي ويترك الناس الناس .

ويضيق المنفلوطي ذرعاً بثلة من العلماء . ويجار فيهم لعلهم يفيقون من الضلال ويعودون الى رشدهم . « يا قادة الامة ورؤساءها عـــذرنا العامة فى أشراكها وفساد عقائدها .

فما عذركم أنتم ؟ وأنتم تتلون كتاب الله تقرءون صفاته . ونعوته؟ »(١) وحرى بهم وقد تصدوا للافتاء والهداية أن يعرفوا سنن من تقدمهم وشرائع من سبقهم من السلف الصالح ، والتابعين باحسان ، ولو أطلعوا على تاريخهم لادركوا أن دينهم غير الدين . وعقيدتهم تباين العقيـدة ، ونحلتهم تتنافى مع نحل السلف وطريقة التابعين . . ويخاطب المنفلوطي العلماء قائلا :

« هل تعلمون أن السلف الصـالح كانوا يجصصون قبرا . أو يتوسلون بضريح وهل تعلمون أن واحد منهم وقف عند قبر النبي ؟ والله ما جهلتم شيء من هذا ولكنكم آثرتم الحيـاة الدنيا على الآخرة . فعاقبكم الله على ذلك بسلب نعمتكم وانقضاض أمركم وسلط عليكم أعداءكم يسلبون أوطانكم ، ويستعبدون رقابكم ويخربون ديا كم والله شديد العقاب » (٢) ولا ريب أن نقد المنفلوطي لعلماء المسلمين ولا سيما مشايخ الطرق امتداد لرأى الشيخ محمد عبده فلقد كتب الامام مرارا عن تلك الاباطيل ، وحاربها فى الوقائع سنة ١٨٨٠م . وكتب عن (بطلان الدوسه) وعن ابطـــال البدع (٣) وتابعه النديم فى مجلة الاستاذ عدد ابريل سنة ١٨٩٣ م وكذلك هاجمهم الكواكبي

---

(١) المرجـــع السابق .
(٢) النظرات ج٢ ص ٦٢
(٣) تاريخ الاستاذ الامام ج ٢ ص ١٣٣

وقال : « إن الطامة من تشويش الدين والدنيا على العـــامة بسبب العلماء المبدلين وغلاة المتصوفين » (١) ولم يقتصر المنفلوطي للعلماء على ما قدمنا . وانما بلغ من جرأة الرجل أن نقد رجلين كبيرين في عصـــره . محمد عبده ، وقاسم أمين . في محاولة لطيفه بينهما جرت في الـــدار الآخرة كما تصورها المنفلوطي . فلقد وقع نظره عليها فأصاخ السمع فاذا بالشيـخ يقول لقاسم « ليتك ياقاسم أخذت برأيي ، وأحللت نصحي لك محلا من نفسك فقد كنت أنهاك أن تفاجيء المرأة المصرية برأيك في الحجاب قبل أن تأخذ لها عدته من الأدب والدين . فجنى كتابك في وجهها من ماء الحياء ، فأجاب قاسم أمين: انى أشرت عليها أن تتعلم قبل أن تسفر وأن ترفع برقعها قبل أن تنسج لها برقعا من الحياء . فقال الشيـخ : ولكن فاتك ما كـنت تنبـأت به من انهـا جاهلة لا تفهم هذه التفاصيل ؟ وضعيفة لا تعبأ بهـذا الاستثناء ، فكنت كمن أعطي الجاهل سيفا ليقتل به غيره فيقتل نفسه .

فقال قاسم أمين : أتأذن لي يامولاى أن أقول لك ! أنك قد وقعت في مثل ما وقعت فيه من الخطأ . وانك نصحتني بما لم تتصح به ، أنا أردت ان انصح المرأة فأفسدتها كما تقول . وانت تريد ان تحي الاسلام فقتلته . انك فاجأت جهلة المسلمين بما لا يفهمون من الاراء الدينية الصحيحة . والمقاصد العالية الشريفة ، فأرادوا غير ما اردت . وفهموا غير ما فهمت . فأصبحوا ملحدين ، اولت لهم بعض آيات الكتاب . فاتخذوا التأويـــل قاعدة .

---

(١) النظرات ج ١ ص ١٢٨

حتى أولوا الملك . والشيطان والجنة والنار (٢)

وعلى ذلك فالمنفلوطي اديب اسلامي تتبـــدى في كتاباته العاطفة الدينية ، ويظهر في اعماله الحرص على الدين والتعصب له ، حتى استحق ان يقـــول عنه سليم سركيس في مذكراته . « هو في المسلمين توفيق حنـــين في الأقبـــاط » .

(١) النظرات ج ١ ص ١٢٨

موضوعات أخرى :

يحفل أدب المنفلوطي بمعالجة أنماط متعددة في الحياة والفكر . وسبق أن تحدثنا عن بعض تلك الدراسات ولسوف نجمل ما تبقى من موضوعات إيثاراً للإيجاز وطمعاً في اليسر وحباً في الإجمال . والذي يقرأ أدب الرجل يهوله ما يراه فيه من إصلاح ونقد، وتوجيه وبناء .

ولقد أتى المنفلوطي في فترة انهارت فيها القيم وتدهورت الأخلاق العامة، وتنكر أكثر الناس للمألوف من الخلال والمحامد . ومن أبرز المعاول التي شرعت تهدم في الكيان المصري وتقوض بنيانه الأعمال المسرحية الهزلية التي شاعت آنذاك . وسماها المنفلوطي التمثيل المنحط .

يخاطب المنفلوطي وجدان الأمة في صورة المتعلمين فيها . منددا بأولئك الممثلين الذين يعصفون بأخلاق الوطن ويزلزلونه من القواعد .

(. أتدرون أيها الأصدقاء من هم أولئك الذين يسمون أنفسهم ممثلين . ويسمون ما يهذون به في مسارحهم روايات . ؟ والذين يدعونكم معشر المتعلمين الراقين إلى حضور مجامعهم باسم الآداب والفنون ؟ . لو أن جماعة من الزامرين وآخرين من الطبالين وآخرين من القرادين وجماعة غيرهم من الرمالين والمداحين والبهلوانية والحواة والرقاة وبقية السائلين المستجدين الذين يمرون بأبواب المنازل كل يوم ضاجين صارخين، فلا نلقي لهم بالا، ولا نعيرهم أذناً . اتفقوا فيما بينهم على أن يكونوا جماعة واحدة في مكان واحد لكانوا هم بعينهم جوق كشكش والبربري وشرفنطح .) (١)

---

(١) النظرات ج ٣ ص ٣٢ .

ويفرق من أعمال نجيب الريحاني ويرى أنها مجلبة للشرور ومثابة للفضائح ومنتدى لكل ما يخدش الحياء ويقتل الهمة .

(كان الشر مفرقاً في أنحاء البلد فجمعه كشكش في مكان واحد) (١) .

ونحن نحمد للمنفلوطي نفوره وضيقه لأن المسرح المصري آنذاك كان أداة تهريج وتسلية مثل مسارحنا الفكاهية الآن . ولا ريب أن المنفلوطي ومن على شاكلته من الذين يدافعون عن الأخلاق ويحاولون إصـــلاح المجتمع سوف يموتون أسى وحسرة حين يسمعون قول أحد الممثلين آنذاك مغازلا امرأة على المسرح ومتغنياً :

أبيع هدومي عشان بوسه   من خدك القشطه يا ملبن

يا حلوة زى البسبوســـه   يا مهلبيه تمـــام وأحسن

ويجمل المنفلوطي مضار التمثيل المنحط في نظره في :

(١) يلبسون مفاسدهم وشرورهم ثوب الفضيلة والجد .

(٢) يمثلون الفلاح أقبح تمثيل ولا يتركون مفسدة من المفاسد ولا رذيلة من الرذائل إلا ويلصقونها به .

(٣) ليس للنساء في مسارحهم عمل سوى إغراء الشبان وإغوائهم .

(٤) يهدمون اللغة العربية هدماً بهذه العامية الساقطة التي يكتبون بها رواياتهم (٢) .

---

(١) المرجع السابق ص ٣٦

(٢) النظرات ج ٣ ص ٣٦

من أجل ذلك يحرض المنفلوطي الجيل المتعلم على مقاطعة تلك الروايات، حرصاً على مستقبل الأمة ودفاعاً عن الأخلاق التي تجهض .

« إنني لا أدعوكم إلى الامتناع عن الإلمام بهذه القاذر العامة من أجل أنفسكم فقط ، بل من أجل أخوتكم وأخواتكم اليوم ، ومن أجل أبنائكم وأحفادكم غداً .

ومن أجل مستقبل الأمة المصرية كلها الذي أعتقد أنه أمانة في أيديكم ، ووديعة موكولة إلى كرم نفوسكم وشرف ضمائركم » (١) .

ولا يقنع المنفلوطي بذلك . وانما يحث الناس على هدم تلك المسارح . والقضاء عليها وأن ذلك عمل بطولي يجب أن يفتخر به المواطن ، ويعتز به المصري لأنه قد حال بين الأمة وبين ما يكاد له من شرور ويدبر ضده من مؤامرات لا ترمي إلا إلى ضياع الدولة ولا ترضى بغير الإنهيار بديلا

اهدموا هذه الأماكن هدماً بالإعراض عنها واحتقارها ثم قفوا بعد على أطلالها البالية هاتفين صائحين صياح الظافر المنتصر قائلين : ها قد نجت الأمة من خطر عظيم ، وها نحن قد قمنا جميعاً بالواجب علينا لوطننا » (٢) .

ويشعر المنفلوطي أن ذلك النمو من التمثيل لا يتواءم وطبيعتنا ولا يتفق ومبادئنا وإذا كانت الدول الغربية تصطنع هذا الأسلوب فلأنها بلغت شأواً

---

(١) المرجع السابق ص ٧٣
(٢) النظرات ج ٣ ص ٣٦

من الحضارة ، ونالت حظا عن التقدم . أما الأمة المصرية ذات الكيان المهين والقدرة المحدودة ، والإمكانات المسخرة لصالح المحتل ، فهي بحاجة قصوي إلى ما يسدد خطاها ، ويقـــوى من أخلاقها ويحبب إليها الفضائل ومكارم الشيم ، ومحامد الخصال ، وحتى تستطيع الأمة التصدى للغاصب والدفاع عن حريتها ، والوقوف أمام الغزوات الضارية التى لا تبقى ولا تزر .

« نحن فى حاله نحتاج فيها إلى أن يعـــلم الناس عنا فى كل مكان أننا أمة أخلاق وآداب وأن فى نفوس أفرادنا من الصفات والمزايا ما يرفعنا إلى مصاف الأمم العظيمة » (١) .

---

(١) المرجع السابق ص ٣٨

الإحسـان :

ولكى تتم الصورة عن أدب الزجل لا بد من التعريج على ما يظنه النـاس عملا من أعمال الخير أو سبيلا من سبل المنفعة وما هو بذلك .

وانمـا أوقع الناس فى ذلك الخلط تصوراتهم الخاطئة وأفكارهم المنحرفة ولا سبيل إلى إصلاح ما فسد إلا بتهذيب تصوراتهم والارتفاع بمستوى أفكارهم .

« من شاء أن يهذب أخلاق الناس ، ويقوم معوجها ، فليهذب تصوراتهم وليقوم أفهامهم » (١) .

ولقد أدى التصور الفاسد والفهم المخل إلى تحريف صـورة العمل الجليل وتشويه جماله .

ولا ريب أن الإحسان عمـــل خير ، ومشروع جليل ، ولكنه ـ نتيجة لتصورات الناس الفاسدة ـ فى مصر خلا من كل حسنه ، وتنزه عن كل محمدة .

« الإحسان فى مصر فوضى لا نظام له . ينـاله من لا يستحقه ويحرم منه مستحقه » (٢) .

ولا يقتصر عمـــل المنفلوطى على إطلاق الأحكام . وترديد المقولات . ولكنه يعرض نماذج للاحسان السيء الذى تفشى فى مصر ، حتى فقد مغزاه وجانب مرماه .

---

(١) النظرات ج ١ ص ١٥٥

(٢) النظرات ج ١ ص ١٨٠

« الإحسان فى مصر أن يدخل صاحب المال ضريحاً من أضرحة المقبورين » فيضع في صندوق النذور قبضة من الفضة أو الذهب ربما يتناولها من هو أرغد منه عيشاً ، وأنعم بالا ، أو يهدى ما يسميه نذراً من نعم وشاء إلى دفين فى قبره قد شغله عن آكل اللحوم والتفكه بها ذلك الدود الذي يأكل لحمه . والسوس الذي ينخر فى عظمه . وما أهدى شاته ولا بقرته ـ لو يعلم ـ إلا إلى وزارة الأوقاف . وكان خيراً له أن يهديها إلى جاره الفقير الذى يبيت ليله طاوياً » (١) .

ومن هنا ـ من هـــذا التصور الواهم ـ لن تنفع كل وسائل الإحسان والإصلاح التى يتخذها السادة ويصطنعها القادة . لأنها أتت من غير بابها الصحيح وولجت من غير سبيلها القويم . وعبثاً يحاول الرؤساء إصلاح الأنظمة أو الإحسان إلى الأمة . ما دام القائم على الأمر غير قمين بالتجلة ، ولا أهل لما تصدى له . ولن تنتفع الأمة إلا بقائد ينزل نفسه منزلة الوالد المشفق ويحل منه محل الرأس المدبر فى إحسان ، ومن غير من ولا أذى .

« إنما ينفع الأمة ويضطلع بخطوبها ويحمل أعباءها على عاتقه الرجل الذى يشعر من نفسه بأنه ينزل منها منزلة رئيس الأسرة من أسرته التى يعلم أنه مأخوذ بالقيام عليها والسعى لها . فيقوم لها بكل ماتريد . ويسعى لها سعي الكادح المجد . ويرحم صغيرها ويحنو على كبيرها . ويحتمل مغارمها ، ويغتفر عبث أطفالها . وجهل شيوخها . ويرى لها فى كل شأن من شـــئونها خيراً مما ترى لنفسها . أرضاها ذلك أم أغضبها!

(١) النظر ج ١ ص ١٨١

. . . من حيث لا يمن عليها بذلك ، ولا يطلب عندها جزاء ولا أجراً .
بل من حيث لا تعلم ما يلاقي بينه وبين نفسه من آلام الحياة . وما يعالج من شدائدها في سبيلها » (١) .

ومن يصنع الإحسان في مصر لا يؤديه ابتغاء مرضاة الله ولا إحساساً بأهميته . وانما ليحظي بنظرة حاكم وابتسامه مهيمن .

« وهل يؤتى الأغنياء في هـــذا البلد إلا من طريق المجد الباطل والسمعة الكاذبة .

وهل يكب العظماء علي وجوههم ويلصـــق بالرغام معالمهم إلا بالشغف بنظرة الأمير ولفتة الوزير وزورة المدير » (٢) .

وحتى الحـكومة حينما تنفق أموالها لا تتبع سـبيل المحسنين وانمـا تسلك سنن المبذرين الذين لا يعرفون وجه الصواب ولا يهتدون سبيلا .

ومال الحـكومة ملك للشعب « والمفروض أن تنفقه فيما ينفع الأمة في تربيتها وتهذيبها وتقدمها ورقيها » .

« ذلك ما يجب أن تنفق عليه الحكومة من خزائنها ولكنها تضن بمـال هي في حاجة إليه لبناء العمائر وتشييد القصور وترقية كبار الموظفين خصوصاً الأجانب منهم وإقرار عيون السياح الأوربيين » (٣) .

ويتقدم المنفلوطي بمشروع يراه نموذجاً للاحسان والعمل المفيـد المثمر .

---

(١) النظر ج ٣ ص ٣٢ (٢) النظرات ج ٣ ص ٧٤

(٣) المرجع السابق ص ٧٧

ورأى أن تقوم جماعة من سراة الأمة ووجوهها وأصحاب الرأى فيها بتأليف مجتمع فى القاهرة ، يسمى مجتمع الإحسان ، ويكون له فى كل مدينة من مدائن الأقاليم فرع تابع له ، أما أعماله فهى :

١ ـ استخدام فريق من مهرة الكتاب وفصحاء الخطباء يقومون بتعليم أفراد الأمة بكل واسطة من وسائط النشر وبكل وسيلة من وسائل التأثير . معنى الإحسان وما هو الغرض منه ، وما هى أفضل وجوهه ، وأى أنواعه أجمع لخيرى الدنيا والآخرة .

٢ ـ بذل الجهد فى حمل الناس على اعتبار مجتمع الإحسان هذا بيت مال لهم أو وكالة عامة عنهم ، يتولى الصدقات منهم ، وتوزيعها على مستحقيها . وحسبها أن تأخذ من كل فرد فى كل عام مجموع ما يحسن به عادة فى ذلك العام . فلا يكون بعد ذلك مأخوذاً بشىء من الإحسان أمام ربه وأمام أمته أكثر مما قدمه لهذا المجتمع .

٣ ـ إنفاق ما يجمع من المال على تربية اليتامى الذين لا كاسب لهم ، والقيام بأود العاجزين عن الكسب وتفقد شئون الذين نكبهم الدهر وتنكر لهم بعد العزة والنعمة ، وضيانة ماء وجوههم أن تراق على تراب الأعتاب ، والإنفاق على تعليم من يتوسم فيهم الذكاء والفطنة ويرجى أن تنتفع بهم الأمة فى مستقبلها من أبناء الفقراء .

ـ إلى أمثال هذه الأعمال الخيرية الشريفة التى لا يتحقق الإحسان بدونها ، ولا ينصرف معناه إلا إليها .

أنا أعتقد اعتقاداً لا ريب فيه أن من يخط الخطوة الأولى فى سبيل هذا

العمل الجليل ، ومن يضع الحجر الأول في بناء مجتمع الإحسان ، هو أفضل عامل في الوجود ، وأشرف إنسان(١) .

وبعد هـذه السياحة الموضوعية في أدب الرجل الذى قيل عنه ـ ظلماً ـ : أنه لم يعالج سوى القصة والكتابة الإنشائية التى تهتم بالصياغة فقط ، ندرك أن المنفلوطى أديب عالج مشكلات وعرض قضـايا ، وساهم فى رفعة وطنه ، وعمل عمــل الصالحين والرواد ، ولم يركن إلى برج عاجي يراقب مجريات الأمور في سلبية ووداعة .

ورجل هذه سبيله وتلك أخلاقه وطباعه جدير به أن يؤثر فى أدب قومه ويخلق اتجاهاً فكرياً ، وينشىء نزعة وسمة . وخير ما يعرب عن فكرة الرجل ويشف عن مزاجه قوله :

« إن في أيدينا معشر الكتاب من نفوس هـــذه الأمة وديعة يجب علينا تعهدها والاحتفاظ بها ، والحدب عليها حتى نؤديها إلى أخلافنا من بعدنا »(٢)

وفي هذا بلاغ لمن أراد أن يذكر ، أو أراد وقوفاً على أدب المنفلوطي .

---

(١) النظرات ج ١ ص ١٨٦
(٢) النظرات ج ١ ص ١٢٠

الباب الثالث

أثر المنفلوطي في الأدب

أولا ـ أحكام عامة :

لقد احتل المنفلوطي مكانة كبيرة في الأدب الحديث . وغدا من أكبر الأدباء الذين يشار اليهم بالبنان . وأصبح كل من يريد أن يكون ذا شأن في عالم الأدب أن يترسم خطاه ، ويسير على منواله ، وينسج على هدى من أسلوبه وطريقته .

وطغى أسلوب المنفلوطي على ما سواه ، وصارت له الصدارة والمكانة بين أرباب البلاغة وأهل البيان . ولذلك صارت الوصية لراغبي الاسلوب أن يصنعوا صنيع الرجل وأن يحاولوا تقليده ومتابعته .

يقول الأستاذ العقاد كانت الوصية الاولى لطالب الانشاء عند أساتذة اللغة العربية باجماع الآراء اقرأ المنفلوطي . واكتب على منواله (١)

ولم ينل المنفلوطي تلك المكانة عن جاه أو سلطان . وانما نالها لما امتاز به أسلوبه من عناصر الجمال والابداع ، ولما ظهر فيه من أسر وجذب . ولما بدا عليه من مظاهر التجديد والطرافة .

ولقد شهد للمنفلوطي لفيف من الأدباء نضرب عنهم الذكر صفحا .

(١) المراجعات صفحة ١٧٨ المطبعة العصرية .

ونعرض لأقوال طائفة منهم وفي مقدمتهم العقاد . وانما نحفل برأى العقاد . لأنه لم يكن على وفاق مع المنفلوطي . وانما العلاقة بينهما تندرج تحت باب الصراع والمنافسة (١) لا الود والمقة . ثم لأن العقاد قليل الثناء على معاصريه. لذلك بدأنا بحديث العقاد فالمنفلوطى عنده من القلائل الذين أثروا فى الادب الحديث . وكان لهم من الفضل ما لا يجحد .

أرى من الواجب على أن أعرض له بالنقد والتقدير لاقوم له ببعض حقه وأدل على مكانه من أدب العصر الحديث في رأيي . اذ لاشك أن المنفلوطي قد كان صاحب مكان فى هذا الادب يعتد به ، ولا يحسن اغفاله (٢)

لقد كان المنفلوطى أحد اولئك الادباء القلائل الذين أدخلوا المعنى فى الانشاء العربى . بعد أن ذهب منه كل معنى وضل به الكاتبون عن كل قصد (٣) وقولة العقاد تحمل من المعانى الجليلة ما تحمل . فهى اعتراف كاتب كبير . وفيها بيان لاثر الرجل . ولقد حدده العقاد في مجالين ١ - القصد ٢ - المعنى وعلى ذلك فلا سبيل لتلك الفريه التى دانت على أذهان المثقفين ردحا من الزمن وهى ان المنفلوطى لايحسن سوى سبك الالفاظ وتكوين الجملة والبهلوانية التعبيرية ، ولكنه لايعرف المعنى ولا يحسن القصد.

ولا يكتفى العقاد بما أسلفه وانما يقول فى امانة .

---

(١) مراجعات فى الادب والفنون . المطبعة العصرية صفحة ١٧١

(٢) مراجعات في الآداب والفنون صفحة ١٧١

(٣) مقدمة الشيخ سيد العبيط . لنيور ص ٣٣

. ذلك هو مكان المنفلوطي في أدب العصر الحديث على وجه الاجمال . ومن هنا فلا بأس على المنفلوطي عن حديث من يقول عنه .

كانت طريقة المنفلوطي في كل كتاباته العناية بالاسلوب واللفظ ، أكثر من عنايته بجوهر الموضوع ، ومن الآراء التي سارت في ركاب الذين يتهمون الرجل بالسطحية رأي الاستاذ الدكتور شوقي ضيف . ولانجد تفسيرا لقوله

« وما أشبه أدب المنفلوطي في عباراته الرصينة المنغمة بالآنية المزخرفة . ولكنها آنية قلما حملت غذاء للذهن والفكر (١) غير مشايعة فكره سيطرت . ومجاراة أحكام قيلت »

وإذا كان النقاد قد قال رأيه في اجمال وقصد . فالزيات يتحدث عن أثر المنفلوطي حديثا فيه شيء من الاسهاب والترسل . يقول :

اشرق أسلوب المنفلوطي على وجه (المؤيد) اشراق البشاشة ، وسطع اندية الادب سطوع العبير ، ورن في اسماع الادباء رنين النغم ورأى القراء الادباء في هذا الفن الجديد مالم يروا في فقرات الجاحظ وسجعات البديع ، وما لا يرون في غثاثة الصحافة وركاكة الترجمة ، فأقبلوا عليه اقبال الهيم على الورد الوحيد العذب (٢)

وللمنفلوطي عمل أدبي أثر في وجدان الناس فترة من الزمن ، وشغل اذهان الادباء حينا من الدهر . ففي يوم ٤ / ١١ / ١٨٩٧م نشرت (الصاعقة)

---

(١) الادب العربي المعاصر ص ٢٠٥ دار المعارف .

(٢) وحي الرسالة ص ٣٨٦ ط السادسه . مكتبة النهضة .

وكان صاحبها أحمد فؤاد قصيدة نظمها المنفلوطى تهنئة مرفوعة لسمو خديوى مصر لمناسبة عودته من ثغر الاسكندرية ومن هذه القصيدة الذائعة:

قدوم ولكن لا أقول سعيد ... وملك وأن طال المدى سيبيد

تذكرنا رؤياك أيام أنزلت ... علينا خطوب من جدودك سود

رمتنا بكم مقدونيا . فأصابنا ... مصوب سهم بالبلاء شديد

فلما توليتم طغيتم . وهكذا ... اذا أصبح التركى . وهو سعيد

فكم سفكت منا دماء بريئة ... وكم ضمنت تلك الدماء لحود

وكم ضم بطن البحر اشلاء جمة ... تمزق احشاء لها وكبود

***

فما قام منكم بالعدالة طارف ... ولا سار منكم بالسداد تليد

كأنى بقصر الملك اصبح بائدا ... من الظلم والظلم المبين مبيد

***

أعباس . ترجو أن تكون خليفة ... كما ود اباء . ورام جدود

فياليت دنيانا تزول ، وليتنا ... نكون يبطن الارض حين تسود

وكان لتلك القصيدة من الوقع والاثر ما جعل السلطات تفزع ، وكان الطلبة ينسخون القصيدة ويبيعونها . ونفذت أعداد (الصاعقة) في سرعة مذهلة . حتى أن صحف لندن قد علقت على القصيدة وعلى أثرها لدى المصريين (١) وبلغ من اقبال الناس على تلك القصيدة أن لجأ سليم سركيس

(١) تطور الصحافة . لأنور الجندى ص ١٧٧

بعد أن تفننت النسخ إلى حيلة لا تخلو من طرافه فقـــد كلف الشيخ عثمان الموصلى بتشطير القصيدة على أن يدخل فيها مدحا للخديوى وبذلك ينشرها فى مجلته ، وآمن بمكره ودهائه من بطش السلطان .

وكان تشطيرها على هذا النحو :

قدوم . ولكن لا أقول سعيـد	(على فاجر هجو الملـوك يريد)
(لأضرابه بيت من اللـــؤم عامر)	وملك وان طال المـدى سعيـد

وكان جزاء المنفلوطي على قصيدة السجن نصف عام . وهو بذلك أول اديب مصرى يتهم بالعيب فى الذات الملكية فى العصر الحديث .

والمنفلوطي كان شاعراً كبيراً وشعره يحتـاج الى دراسة متأنية منصفة ويكفى أن مصطفى صادق الرافعى وضعه فى الطبقة الثالثة من شعراء عصره . وقرنه بأحمد الكاشف وأحمد محرم وامام العبد ، والعزبى ونسيم (١)

ولسوف نبين أثر الرجل فى الأدب الحديث من خلال مجالين . مجال الاسلوب ومجال الفكر .

---

(١) مجلة الثريا . عدد يناير سنة ١٩٠٥

أثر المنفلوطي في الأدب الحديث

أولا - في الفكر :

لقد أختلف الرأى وتداير حول قيمة أدب المنفلوطي . ويرد ذلك الى عظمة الرجل . فكل أديب ذى مكانة يختلف حوله الرأى وذاك حكم لا مرد له وصيغة لاتتخلف . ولن نستطرد في ذكر الآراء التي تناولت الرجل فليس ذلك مما قصدناه ولكنا سنأخذ أنفسنا بالدراسة الموضوعية والكشف عن مواطن تأثيره .

والأحكام الأدبية كثيرا ما يكتنفها الهوى . وتسيطر عليها الشهوة وتخلو من الموضوعية والامانة ولسوف أقدم رأيين لاديبين كبيرين لا يحملان غير الحقد الموتور والغيظ المكين الذى لا يبقي على حسنة ولا يعترف بفضل .

يقول الاستاذ مارون عبود وهو عند نفسه من الذين ساهموا في الحركة الثقافية .

يقول «لا أدرى لماذا صرت أرى المنفلوطي رخوا مذهلا كالمرأة المركولة التي تعتمد على يديها ورجليها لتنهض . فأدب المنفلوطي أدب مفلطح منتفش اغترت الصحف بخرزاته وودعاته فلقبته (أمير البيان) فتطوع في حقول الاقدمين كلاقطي السنابل .»

ويقول (لقد فتشت آثار المنفلوطي كلها فما عثرت بتعبير شخصي لهذا النابغة) «١»

ويقول : الاستاذ المرحوم ابراهيم عبد القادر المازني .

(ماذا في كتابات المنفلوطي مما يستحق أن يعد من أجله كاتبا أو أديبا الا اذا كان الادب كله عبثا في عبث لا طائل تحته) «٢»

وفي دراستنا لما تضمنه أدب المنفلوطي خير رد على تلك المفتريات .

ومما يؤسف له أن الادباء الدارسين الذين رأوا للرجل فضلا قدروا ذلك الفضل على أسلوبه ونمطه في الكتابة . ولم يعتدوا بما وراء ذلك .

واذا كان المنفلوطي قد أثر في الادب الحديث من ناحية الاسلوب فلقد كان له فضل أي فضل في ناحية المعنى والفكر .

الريادة :

عندما شرع المنفلوطي في كتاباته القصصية لم يكن من المألوف آنذاك أن يسخر شيخ أزهري قلمه في هذا المضمار وأن يسلك به هذا السبيل وما ذلك الا لأن المجتمع الأدبي لم يكن ينظر إلى القاص بعين التقدير والاجلال وانما بعين الزراية والتنقص فاذا ما كتب أديب قصة فانه لا يوقع باسمه الحقيقي انما يترك العمل غفلا أو يرمز لنفسه برمز يختاره ويرضاه . ولقد صنع ذلك

---

(١) جدد وقدماء ص ٣٢٣ مارون عبود دار الثقافه بيروت ١٩٥٤م

(٢) الديوان ج ٢ ص ٨٤ دار الشعب بالقاهرة

الصنيع الأديب الدكتور محمد حسين هيكل. عندما كتب (زينب) سنة ١٩١٠ وكتب في أسفل الغلاف بقلم فلاح مصري مستنكفا أن يذكر اسمه لانه على حد تعبير الاستاذ يحي حقي من أســــرة ومن حزب وعنى نفسه بمستقبل كبـير (١) .

فاذا تصدى المنفلوطي لذلك وذكر اسمـه . وهو الأزهرى المعمم والسيد الحسيب عرفنا مدى مايتعرض له مثله .

والأدب القصصى كان يقابل باستهجـان من القراء والمتعلمين ولا يلقى رواجا وتشجيعا ، وظل يعانى من ذلك حتى ظهرت كتابات المنفلوطي فاحتل الأدب القصصي مكانة بارزة ، وتفوق على انداده من فنون القول كالمقـالة والمقـامة . واستحوذ على أذهان القراء وعاطفتهم واجتذبهم اليه حتى غدا المنافس الأول للقصيدة وحظى بالاحـترام والتقدير . وكل ذلك ـــ وهى أمور عظيمة يرجع الفضل فيه الى المنفلوطى الشيخ المحافظ .

وعلى ذلك فالمنفلوطي (يعتبر دعامة من دعامات الفن القصصى فى الأدب المصرى . فهو أول من صنـع جمهورا كبيرا للفن القصصى وحمـل القراء على اعتبار القصص والروايات نماذج أدبية عالية لا تقل روعة عن الشعر .

وبذلك يعتبر المنفلوطى مرحلة هامة فى تاريخ أدب مصر الحـديث بعامة وفى تاريخ الفن القصصى بصفة خاصة (٢)

---

(١) فجر القصة المصرية ص.٤٤

(٢) تطور الادب الحديث فى مصر ص ٢٠٤ د أحمد هيكل دار المعارف ١٩٦٨م
وتطور الرواية العربية ص ٨٤ د. عبد المحسن بدر .

ولقد أثر المنفلوطي تأثيراً عميقاً في نفوس المثقفين فنـــه وطبع القراء بطابعه وصبغهم بصبغته وما كاد يجمع مقالاته في المؤيد ويضعها في كتاب حتى تهافت الناس على اقتنائها .

فبيع من الطبعة الأولى منها سنة ١٩١٠ على ما أخبرني المرحوم محمد راشد وستم عشرة آلاف نسخة . وهو رقم لم يصل إليه حتى اليوم عدد المبيع من كتب أكبر الكتاب إلا في القليل والنادر(١) .

وأصبحت كتابات المنفلوطي ذات صيت ونفـوذ وطبعت النظرات أكثر من سبع عشرة مرة وكان لها فعل السحر في عقول القراء وخاصة الشادين في الأدب والناشئة في صناعة القلم (٢) .

ولم يكن المنفلوطي يستطيع أن يكتب خلاف ما كتب إذ جاء في وقت عم فيه الظلم وتفشت الفوضى وغـــدا الظلم الاجتماعي قاعدة من قواعد التعامل اليومي .

وذاق المنفلوطي ما ذاق مواطنوه فغنى ألمهم ، وترنم بأحزانهم ، وكان بداية لأعمال فنية عديدة سلكت سبيله وترسمت خطاه .

وإذا كان صاحبا الديوان يأخذان على الرجل ذلك الأســـلوب الحزين ويسميه المازني (الندابة) فإن تلك الطريقة كانت المتنفس الوحيد للشعب الأسيف . والرئة التي يتنسم بها عبير الشكوى والنفور .

---

(١) ذكريات الصبا . الأستاذ فتحي رضوان . مجلة الثقافة القاهرية العدد ٢٩ ص ١٢ فبراير سنة ١٩٧٦

(٢) تطور الأدب الحديث في مصر ص ١٨٦ د . أحمد هيكل .

وقد كان لهـــذا الأدب الحزين الباكى أحسن الوقع فى نفوس معاصريه إذ كان الناس يعانون من ضغوط كثيرة . على رأسها الاحتلال الأجنبي الذى كان يشل كل حركة نحو التقدم . ويعجز الأفراد عن المقاومة فيلجأن إلى التنفيس بمثل البكاء والدموع التى يحدثنا عنها المنفلوطى (١) .

ومن هنا أثرت كتابات المنفلوطي وخلدت بينما لم تبق كتابات أدباء كثيرين .

وصدق المستشرق (جب Gipp) حينما قال عن كتابات المنفلوطي :

إنها بقيت حية مقروءة على حين اختفت معظم الكتابات التى كانت تهاجم صاحبها وذلك لأنها كانت أكثر تمثيلا لروح العصر .

والمنفلوطي على ذلك رائد من رواد الأدب الحديث ومؤثرضخم فيعقول وأفئدة كتاب تلك الفترة . وسوف ندلل على ذلك في الدراســات المتخصصة والتى سوف نقصرها على بيان أثره الفكرى .

أولا :

أثره فى الزيات

تأثر المرحوم الزيات بالمنفلوطي أسـلوباً وفكراً ولسوف نقصر الحديث هنا على الجانب الفكرى .

ولعل أول عمل فني عثرنا عليه للزيات تلك القصة التى نشرها فى مجـــلة

---

(١) القصة القصيرة في مصر ص ٥٦ . عباس خضر . الدار القومية للطباعة والنشر ١٩٦٦ م .

(السفور) بعنوان (ضحية السيل) وهى تعالج موقف المرأة المصرية الجاهلة التى يتكاثر حولها ذئاب المجتمع المصرى حينما تفقد عائلها فى حادثة سيل .

وتدفع إلى مصيرها دفعاً لأنها على حد تعبيره (المرأة المصرية لا تستطيع أن ترتزق بإبرتها ، ولا تكتسب بقلمها) .

وتلك قضية طالما دافع المنفلوطى عنها ودعا المجتمع إلى تعليم المرأة وتثقيفها (١) .

والذى يقرأ آثار الزيات ولا سيما وحي الرسالة يقف على أثر المنفلوطى الفكرى لدى الزيات فهو يعالج من الموضوعات ما عالج ويثير من القضايا ما أثار ويقترح من الحلول ما يقترب من مقترحات المنفلوطي .

يكتب الزيات عن رجال الدين فيعيد إلى الأذهان ما كتبه المنفلوطي فى المؤيد ويتحدث عن المرأة ومشكلاتها فتشعر أن المتحدث هو السيد مصطفى لطفى ، ثم يعرض لمشكلات اجتماعية كالفقر والجهل والعادات البالية فلاتشعر بكبير فرق بين الرجلين ولا بون بعيد بين المعالجتين .

ويكتب الزيات بعض القصص القصيرة فلا يزيد شيئاً على صنيع المنفلوطي . فالسرد والوصف والأبطال والمعالجة منفلوطية من ألفها إلى يائها .

فنى الجزء الثالث من وحي الرسالة عدة قصص منها (قصة فتاة) (٢) ، فنجد أن المعاناة المنفلوطية والاستسلام والركون إلى القدروالخضوع لمشيئة الأحداث وكذلك (قصة حشاش) و (صديق الكلاب) و (بهيرة)

(١) السفور ٢٧ فبراير سنة ١٩١٩

(٢) و ص الرسالة ج ٣ ص ٣٠٣

و (مأساة شاعر) كلها أنماط لا تجديـــد فيها ولا زيادة لديها عن انماط المنفلوطي القصصية .

فاذا ماتركنا الجزء الثالث وتصفحنا الجزء الرابـــع ألفينا أنفسنا حيال مجموعة من القصص ذاتها نفس الفكر نفس الهدف نفس المعالجة ويتبدي ذلك جليا في قصص (جلاء الشيطان) و (سيدنا الشيـــخ حسن) و (الغرام الأول) و (في سبيل الأرض الطيبة) و رجلان وأمرأة) «١»

ولقد وقفنا في الباب الثاني من عملنا هذا على ما كتبه المنفلوطي عن وجوب معرفة اللغة العربية وآدابها. ولا بأس في اعادة نص آخر له يقول (ما أصيب البيان العربي بما أصيب به الا من ناحية الجهل بأساليب اللغة ولا أدري كيف يستطيع الكاتب أن يكون كاتبا عربيا قبل أن يطلع على أساليب العرب«٢»

ويعالج الزيات نفس الموضوع قائلا «أن الكاتب والشاعر محتوم عليه أن يدرس اللغة دراسة خاصة : يتضلع من مادتها . ويتعمق في فقهها ويتبسط في أدبها ويحيط بعلومهـــا ويوغل ما استطاع في استبطان أسرارها واستقراء الوانها . . ومن زعم أن العروض وسائر علوم اللسان لا ينبغي حذقها لغير الأزهريين أو المتخصصين فهو هازل لا يريد أن يكون شيئا مذكورا في هذا الفن «٣» .

واذا كان المنفلوطي قد شن حملة شعواء على معلمى اللغة العربية ونقلنا

---

(١) وحي الرسالة ج ٤ ط ٢ مكتبة نهضة مصر ١٩٥٨م

(٢) النظرات ج ٢ ص ٥

طرفا منها في الباب الثاني ونال فيها من رجال الأزهر ومنهجهم وهاجم الطريقة المتبعة في تلقين اللغة وندد بمدرسي اللغة العربية فان الزيات قد سار على طريقه وصنع صنيعه .

(اذا عنى القائمون على الثقافة بتعليم اللغة وعرضوا على النشء المثل العليا من الادب قديمه وحديثه . ورغبوه فى قراءتها بالعرض المشوق والطابع الانيق . . والمكافأة الحسنة رجونا أن تنشأ الاذواق على الصحة وتجري على الطبع . فتعاف الادب الرخيص وتستبشع الاسلوب الغث . وتنكر النقد المزيف واذن تنقى رياض الادب من الحشرات والطفيليات فلا تسمع لغوا ولا تأثيما ولا شعوذة .

أن معلمي اللغة فى كل أمة هم وحدهم المسئولون عن تكوين الذوق السليم والخلق القويم في الناشىء وآية ما نجده فى مصر من فوضى الاخلاق والاذواق لدليل على أن فى بعض معلمي العربية ضعفا فى الاستعداد أو نقصا في الاعداد نضرع الى القائمين على شئون التعليم أن يعملوا مخلصين لعلاجه(١)

وتأثير المنفلوطى في فكر الزيات واضح فى معالجته وكتاباته . حتى لا يحتاج الامر الى بينة ولا يتوقف على شاهد .

ثانيا :

أثره فى طه حسين

لعل من العجب أن ندعى أثرا فكريا للمنفلوطي على رجل في مثل مكانته

الدكتور طه حسين ولكن البحث المنصف والعمل الجاد المحايد يشير الى ذلك الأثر فى غير موطن. ويدل عليه فى أكثر من غرض.

ومن العجب أيضا ان علاقة الدكتور طه حسين بالمنفلوطي لم تكن مستقرة ولم تسر على وتيره واحدة. فقد بدأت باعجاب شديد وانبهار من الشيخ طه حسين الأزهرى (١) ثم انقلبت الى عداء وخصام حينا أوعز الشيخ عبد العزيز جاويش الى الشيخ طه حسين بمهاجمة النظرات لحاجة فى نفس الشيخ جاويش وفتح صدر مجلته وتأهب لذلك طه حسين وأمطر النظرات بوابل من السباب بلغ من العنف غايته ثم ينتقد الدكتور طه حسين شعراء مصر. ويعيد ما قاله المنفلوطي. يقول: د. طـــه حسين (وعندنا شعراء ولكنهم لم يجددوا شيئاً ولم يبتكروا ولم يستحدثوا وانما اكتسبوا شخصيتهم من القديم واستعاروا مجدهم الفنى من القدماء (٢)

وهذا القول يكاد يكون قول المنفلوطى فى تقديمه لديوان أحمد الكاشف

(شعراء مصر فى هذا العصر ليسوا شعراء هـذا البلد ولا هذا الزمن. وانما هم جماعة من تجار العاديات لا يزالون يصورون لنا في هذه العصور تماثيل كاذبة لآداب الجاهلية الأولى)

والمنفلوطي يقول: ليس البيان الا بالتعبير عن المعنى القائم في النفس «٣»

---

(١) وحي الرسالة ج١ص٣٨٦ ط ٦ مكتبة النهضة ١٩٥٧ م

(٢) حافظ وشوقي ص٧٢ دار المعارف.

(٣) النظرات ج ٢ ص٣

ويقول د. طه حسين « الشعر الجيد يمتاز قبل كل شيء بأنه مرآة لما في نفس الشاعر من عاطفة »(١) .

ويثور الدكتور طه حسين على من يظنون أن الشعر نظم وموسيقا . ويفرد فصلا في كتابه (حافظ وشوقي) عن النظم .

والمنفلوطي يقول في سخرية شديدة ورائدة « إن علماء الضاد الذين عرفوا الشعر بأنه الكلام الموزون المقفى لم يكونوا شعراء ولا أدباء . ولا يعرفون من الشعر أكثر من إعرابه وبنائه واشتقاقه وتعريفه » .

وإذا كان الدكتور طه يرى أنه « قد كان من الحق على للأدب أن أنقذ حافظا حتى لا يضاف إلى الشعر ما ليس منه . ولا يحسب على الفن أثراً ليس من آثاره في شيء » .

فان المنفلوطي قد سبق بقوله في تبكيت وتقريع وإيلام « لا تظنوا أن الشعر كما تظنون وإلا لاستطاع كل قارىء بل كل ناطق أن يكون شاعراً لأنه لا يوجد في الناس من يعجزه تصور النغمة الموسيقية والتوقيع عليها من أخصر طريق » .

ولم يقتصر تأثير المنفلوطي على ذلك بل تعداه إلى مواقف عديدة منها موقف الدكتور طه حسين من نظام التعليم الأزهري ومهاجمته في جرأة وجسارة ماهي إلا نفحة منفلوطية ، ولقد بينا في الباب الثاني موقف المنفلوطي من الأزهر وعلمائه ، وانتقاد الدكتور لنظام التعليم بوجه عام فيه من أثر

---

(١) حافظ وشوقي ص ٩٩

المنفلوطى ما فيه ، وفى كثير من آراء الدكتور الإصلاحية والدينية أثر من فكر المنفلوطى .

ويبدى ذلك جلياً فى بعض أعمال الدكتور طه حسين الفنية .

فلقد عالج د. طه حسين قضايا اجتماعية بأسلوب منفلوطى صرف ولسوف نقتصر فى حديثنا على عملين : (دعاء الكروان) و (المعذبون في الأرض) .

ودعاء الكروان عمل فنى عالج فيه الدكتور طه حسين أثر الجهل على مستقبل الأسرة المصرية ، وخطورة التقاليد على البيئة .

ومن خلال المواقف المتعددة والمشاهد المتباينة يوقفنا المؤلف على مايرمى إليه ، وهو ضرورة العناية بتعليم المرأة ، ولكى يقنعنا بذلك يدفع الفتاة الجاهلة إلى الجريمة ويحملها حملا على مقارفة المنكر ، ثم تأتى مأساة العادات والتقاليد فتقضى عليها قضاء مبرما .

أما الفتاة المتعلمة المثقفة فإنها ترتفع بغريزتها وتواجه مشكلاتها فى موضوعية وفهم ، وتحمل الرجل المستهتر على احترامها ، ويبلغ الأمر غايته فيقترن الشاب بها وما كان لها أن تنال ما نالت إلا لأنها متعلمة . .

وهذا المعنى كرره المنفلوطى مراراً ، ولاكه كثيراً ، ولقد أوردنا نماذج عديدة للمنفلوطى فى هذا السياق ، بل أن جل أعمال الرجل الفنية تنحو هذا المنحى وتتجه ذلك الإتجاه .

أما العمل الثانى ، وهو المعذبون فى الأرض ، فلوحة فنية عرضها الدكتور طه حسين فى أسلوب وطريقة يقتربان من أسلوب وطريقة المنفلوطى . . .

وإذا كان المنفلوطي قد نجح في تصـــوير ما كان يعانيه مجتمعه آنذاك فان المعذبون في الأرض لم تكن سوى تصوير لما يعانيه الناس في تلك الفترة التي كتبت عنها(١) .

ولقد نقل الدكتور طه حسين نماذج من الذين لا يجدون ما ينفقون ، وتحدث عن البؤس الذي يشقى به الكادحون من أبناء الشعب المصري وعالج بعض الظواهر الاجتماعية كالطلاق والخلاف والشقاق في الأسرة ، والفقر الذي يدفع الفتاة إلى الهاوية والمرض الذي يودي بالإنسان .

وإذا كان المنفلوطي قد أخذ عليه أن أبطاله مستسلمون منهزمون لا يثورون ولا يغيرون من واقعهم فلقد دعا الدكتور طه حسين إلى ذلك ، وصور أبطاله تصوير المنفلوطي . . .

يقول : « البؤس قضاء محتوم على البائسين ، كما أن النعيم قضاء محتوم على المنعمين والشقاء قدر مقدور على الأشقياء ، كما أن السعادة قدر مقدور على السعداء ، فالرجل الحازم العازم الحكيم خليق أن يرضى بالقضاء المكتوب والقدر المحتوم يحتمل الخير غير أنه زاهد فيه ويحتمل الشر غير ساخط عليه حتى ينتهي أولئك وهؤلاء إلى المواطن الذي لا يكون فيه شقاء ولا حرمان، والذي لا يكون فيه فقر ولا غنى والذي لا يكون فيه يسر ولا عسر والذي

---

(١) المعذبون في الأرض ص ٦ المقـــدمة ، سلسلة اقرأ العدد ١١٨ دار المعارف .

تتحقق فيه المساواة بين الناس جميعاً حين يصيرون إلى تراب كما خلقوا من تراب »(١) .

ذكرنا فى الباب الثانى رأى المنفلوطي فى الإحسان وموقفه من أغنياء حكومة مصر ، وليس يبعيد عن رأى المنفلوطي السالف رأى الدكتور طه حسين ، بل انى أدعى أنه هو مع شيء من التحوير الطفيف ، ولسنا فى حاجة إلى إعادة ما قاله المنفلوطى وانما نحن في حاجة إلى رأى الدكتور طه حسين ، يقـول :

« ليت أغنياءنا يفكرون أنهم يستطيعون أن ينفقوا من فضول أموالهم مخلصين غير منافقين ولا مرائين ، وليت أغنياءنا يصدقون وعد الله أو يمتحنون هذا الوعد ، ولكن هيهات ليس إلى ذلك من سبيل لأن أغنياءنا لا يقرأون ، وهم إذا قرأوا لا يؤمنون وهم إذا آمنوا لا يغامرون ، وأهونه عليهم أن يغامروا بالألوف في ناد من أندية الميسر وميدان من ميادين السباق من أن يغامروا بالألوف في سبيل من سبل الخير ، والشيء الذى يملأ القلوب غيظاً والنفوس كمداً هنا أن الحكومات ترى من حرص الأغنياء وبخلهم ومن تقصيرهم ما ترى ثم لا تبيح لنفسها من فرض الضرائب ما يتيح لها أن تعين المنكوب وتغيث الملهوف ، وتنقذ المحروب وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له »(٢) .

---

(١) المعذبون فى الأرض ص ٨٢ ، ٨٣

(٢) المعذبون فى الأرض ص ١٨١ ، ١٨٢

ويفيض الكتاب بالحديث عن الإنحلال الخلقي إذ يدفع الفقر والجهل فتاة نحو زوج عمتها ويتحر أبوها حين يرتاب في سلوك ابنته ، كما يتحدث عن ثري يغري قروية ويأخذها إلى المدينة ويقتفي أخوها أثرهما فيقتلهما ويسلم نفسه للشرطة .

وإذا كان المنفلوطي قد عيب عليه أنه لم يراع الأصول الفنية في كتاباته القصصية وأنه كان يرسل خواطره إرسالا ، ويتبع أفكاره تتبعاً غير سائر على نمط فني ولا حريص على التقاليد المرعية لهـذا النوع من الفن ، فلقد أدرك الدكتور طه حسين أنه لم يخضع أعماله الفنية لأصول ذلك الفن ، فقال مدافعاً عن نفسه :

« لا أضع قصة فأخضعها لأصول الفن ، ولو كنت أضع قصة لما التزمت إخضاعها لهذه الأصول لأني لا أؤمن بها ، ولا أذعن لها ، ولا أعترف بأن النقاد مهما يكونوا أن يرسموا لي القواعد والقوانين مهما تكن ، وإنما هو كلام يخطر لي فأمليه ثم أذيعه ، فمن شاء أن يقرأه فليقرأه ومن ضاق بقراءته فلينصرف عنه ، والمهم هو أن يخطر لي الكلام وأن أمليه وأن أذيعه ، وأن يشعر القارىء بأن به ذوقاً صافياً يستطيع أن يعرف في الأدب وأن ينكر وأن يقبل من الأدب وأن يرفض ، وليس هذا كله بالشيء القليل »(١) .

---

(١) مجلة الكاتب ص ٤٥٤ يناير سنة ١٩٤٦ م .

ثالثاً : أثره في محمد تيمور

وللمنفلوطي أثر كبير في إتجاه محمد تيمور الاجتماعي . ونحوه هـذا النحو . فلقد مهد الرجل بكتاباته لـكل من رام القول القصصي ورفع عنهم أسرهم والأغلال التي كانت عليهم .

وإذا كان النقاد يعتبرون قصته (في القطار) المنشورة في جـريدة (السفور) سنة ١٩١٧ أول قصة مصرية حديثة فانه استوحى المعالجة والنمط والإطار الفني وحتى الأسلوب من المنفلوطي . فإبن البـلد الذي أنهكه الظلم وذاق ويلات العذاب ولاقى من اضطهاد وعنت ، والسخرية من أبناء الطبقة الراقية الفاسدين وتصوير مساوئهم ومباذلهم ، وحقارة حياتهم وآمالهم وسوء تربيتهم ، كل تلك المعاني التي بنيت عليها قصـة (في القطار) معاني منفلوطية وأفكار له فيها الحظ الأوفي ومجموعة محمد تيمور (ما تراه العيـون) تسلك سبيل الإنتقاد وتعالج الواقع المصري الأليم ومنها تلك القصة التي روج لها بعض النقاد وهي منفلوطية ، وأعني بها (عطفة الـ . منزل رقم ٢٢) تعرض نموذجاً من موظفي الحكومة وتدور حول المـرأة وخيانتها وتفيض بالسرد والوعظ والمباشرة في التعبير وتلك كلها ملامح منفلوطية .

وقصة (صفارة العيد) تصور بؤس طفل يتيم في يوم العيد وكم عرض لنا المنفلوطي نمـاذج مبكية ودامعة لمثل ذلك . .

وقصة موباسان (ربي لمن خلقت هذا النعيم) غير تيمور أحداثها وأبطالها ومصرها تمصيراً وغير معـالم القصة ولم يبق غير روح الكاتب وذلك ما صنعه المنفلوطي في جل أعماله الأجنبية .

وإذا كان بعض الكاتبين يرون أن المنفلوطي تفوق في المقال القصصي فلقد سرت تلك الظاهرة إلى محمد تيمور ونجح في ذلك أيضاً ومشى على درب المنفلوطي الفكري فالمقارنة بين عز الغني وتعاسة الفقير والتقدم والتخلف والشباب الذي لا يعنيه سوى ترجيل الغرة وتصفيف الشعر والتحدث بطريقة مخنثة ذلك وغيره من موضوعات المنفلوطي كتب عنها محمود تيمور .

ويتجلى التأثر في جل الأعمال الفنية ولا سيما (لبن بالقهوة ولبن بالتراب) والمؤلف يتحدث عن نفسه فيها وكيف أنه لا يقبل على تناول الفطور وصدفت نفسه عنه وحينما هم بالخروج من منزله بصبص له كلبه بذنبه فألقى إليه بفنجان القهوة واللبن .

ومن الدارسين الذين اعترفوا بذلك التأثر الفكري بين المنفلوطي ومحمد تيمور الدكتور حامد شوكت حين يقول عن محمد تيمور :

« ففيه من المنفلوطي أثر الدعوة إلى الإصلاح ولمحة من نقده للأغنياء وإنصافه للفقراء وفيه بساطة الإطار القصصي مثله »(١) .

وركب قطار الرمل في الاسكندرية فبصر برجل طاعن في السن ومعه غلام وقد انسكب منه قدر سال منه سائل أبيض أدرك بعد ذلك أنه لبن ولم يبد الرجل وابنه شيئاً من الحسرة ولم يركبهما طائف من الفزع وحمدا الله (ثم لم ألبث في طريقي قليلا حتى رأيت طفلين من أطفال شوارع الاسكندرية يتسابقان لمكان الحادثة وكانا لابسين من الملابس ما لا يحجب من جسدهما

(١) ما تراه العيون ص ١٢٧ .

إلا القليل عاريى من الملابس على الرأس حافي الأقدام تتراكم على جبهتيهما وملابسهما القاذورات والأوساخ تسابقا لمكان الحادث ولما وصلا إليه ركعا على الأرض ولبثا يلحسان اللبن وكان لبناً بالتراب لا بالقهوة ، بالله أترفض نفسى فى هذا الصباح فنجان لبن بالقهوة وترضى نفسا هذين الفقيرين لبناً ممزوجاً بالتراب ؟ »(١) .

رابعاً ـ تأثيرات وأشخاص

يصعب تحديد الأشخاص الذين اقتفوا أثر المنفلوطى ومن العسير أن يحصى المرء عددهم ، ولكن من الممكن تلمس الأثر الفكرى والتعرف على الجانب المشاكل للمنفلوطى .

ومن الذين تأثروا فكرياً بالمنفلوطى شحاته عبيد فى مجموعته (درس مؤلم) والتى صدرت سنة ١٩٢٢ م .

ولا أدل على ذلك التأثير من قول شحاته عبيد فى مقدمة عمله « تشاهد كل يوم حوادث لو أن المرء اعتنى بها ودرسها درساً دقيقاً باحثاً عن مسبباتها ونتائجها لأخرج منها أبلغ العظات وأحسن القصص » وهو اتجاه منفلوطى. وعزف على نغمة من أنغامه ، وهو يهاجم فى قصته (درس مؤلم) والتى حملت المجموعة عنوانها ـ العادات السيئة والأخلاق المرذولة ، والمظاهر الخداعة التي وفدت مع المدنية الغربية ، ويكشف النقاب عن العلاقات المريبة بين الشباب المصرى من الجنسين والذى نشأ فيهم لسوء تربيتهم .

وإذا كان المنفلوطى قد طالب بتعليم المرأة والرقى بعواطفها وأحاسيسها

والنهوض بمستواها الفكرى والمادى . وقـــدم لنا نماذج للمرأة السيئة وما يترتب على ذلك من علاقات مشينة ومواقف طريفة . اذا كان المنفلوطى قد فعل ذلك فان شحاته عبيد قد سلك نفس السبيل فى قصص عديدة ولا سيما فى (مبروك يا أم أحمد) و (الغيرة العمياء) والأخيرة (الغيرة العمياء) تحكى قصة أمرأة مات عنها زوجهـا ، وكانت تحبه حبا جما وتغار عليـه فحزنت عليه حزنا شديدا . وفى مرة سألت الشيخ الذى تحضره كل يوم الى البيت ليقرأ سورة على روحه . سألته عن زوجها (محمد بك) أين هو وماذا يعمل ؟ فقال الشيـخ أنه فى الجنة ينعم بالحور العين . فامتقـع لونها . وقالت يا بن الكلب يعنى أنا هموت نفسى عليك وأنت بتعمل كـده) «١»

محمـود تيمور ـ

ذلك العملاق الفنى الكبير قد تأثر فى أول حياته الفنية بالمنفلوطى وعالج ما عالجه المنفلوطى . والذى قرأ ما كتبه عن (الشيخ جمعه) (وعم متولى) و (الشيخ سيد العبيط) يجد أثر المنفلوطى واضحا جليا .

وقد بينا فى الباب الثانى ثورة الرجل على العادات التي يظنها الجهلة من الدين والدين منها براء . ورأينا برم المنفلوطى بها وضيقه منهـا وكيف أنه شن هجوما عنيفا على أوكار الفساد فى الموالد والتجمعات الصوفيه ، وقد عالج محمود تيمور كل تلك المعانى فى قصصه السالفة الذكر . وكشف عن خزعبلات وأوهام . وبين كيف « أصبح عم متولى بائع اللب والفول السودانى وليـا

---

(١) درس مؤلم ص ٤٩

من أولياء الرحمن تحج اليه الناس استشفاء لأمراض أجسامهم ونفوسهم »

ويستمر الرجل فى محاربة البدع والاوهام ، ويعمل على تصحيح القصيدة وتقويمها وهو الأمر الذى اضطلع به من قبل ، وقـد أشرنا الى ذلك في الباب الثانى .

وقصه الشيخ (سيد العبيط) والتى غير المؤلف عنوانها سنـة ١٩٣٧ وجعله ضريح الأربعين هذه القصة تحارب ايمان القوم التافه وتقدم صورة مضحكة للأولياء الذين يعتقد الناس فيهم خـيرا ويغرون عندهم الفضل ، وتشرح كيف تختلف الناس حول رجل .

فالشيخ سيد العبيط ولى من أولياء الله فيجب اكرامه والعطف عليه . ثم يرون ـ كما أوعز بذلك خطيب المسجد ـ أنه شيطان يخدم ابليس. فاجتمعوا عليه . وانهالوا عليه ضربا حتى قتـل . ثم يقول « ومرت الاعوام على هذه الحادثة ، وبنى الفلاحون ضريحا للشيخ سيد ، أصبـح كعبة الزوار من كل صوب وحدب ، يقصده من الناس من اشتد به الكرب أو نزلت به احدى النوازل ، فيتبرك به متوسلا مستغيثا يطلب معونة ، ويرجو رضاه » (١)

وهذا النمط أقرب انماط المنفلوطى ومعالجته الفكرية .

أما العلاقة بين الغنى والفقير وسوء ما يصنعه أغنياء مصر فقد أكثر من تناوله تيمور ولا سيما قصته (خالة سلام باشا)

---

(١) الشيخ سيد العبيط ـ لتيمور .

ذلك الغنى الذى يضن بماله على ذوى رحمه . حتى اذا ماتت أنفق عليها في شرف وبذل في إفراط ويقول تيمور عنه .

« انه يفعل ذلك فى سبيل الأبهة والعظمة ، ان القرش الذى كان يبخل به عليها فى حياته ، سيصرف أضعاف أضعافه مئات وآلافا من المرات عليها في موتها . وغايته من ذلك السعي وراء العظمة الكاذبة التى اعتاد أن يجرى خلفها طوال حياته ، والتى لا يعرف سواها لاسعاد نفسه في هذه الحياة»(١)

وعلى ذلك فالمنفلوطي أثر فكرى كبير على محمود تيمور وان كان تيمور قد حاول التنصل من ذلك ، ورمى المنفلوطى ببعض المفتريات يمكننا أن نجاهر بلا خشية ولا لوم .

ان المنفلوطى وان كان اجاد فى اسلوبـــه القصصى السلس الجيد . فقد فشل فى مواضيعه القصصية ، ورسم أشخاصه فيها ، فجعل مواضيع أقاصيصه تافهة ، يصح أن نصفها الى مجاميع الامثال والمواعظ ، أما أشخاص قصصه فهى أشباح ليس لهـا كيان ولا جسم تـكاد تتلاشى أمام عينيك من شحوبها . . »(٢)

(١) الشيخ سيد العبيط ص ١٢٥

(٢) الشيخ سيد العبيط ص ٤٤

محمود طاهر لاشين ـ ت ١٩٥٤م

للمنفلوطى تأثير فكرى على الكاتب محمود طاهر لاشين ، وهذا التأثير الفكرى يتجلى فى معالجة القضايا الاجتماعيــة ، والابانة عن العلاقات الزائفة بين الناس والكشف عن السلوك المعيب الذى يتبــدى في تصرفات الطبقــات المختلفـــــة .

ولقد عالج طاهر لا شين فى أعماله أدواء الشعب ، ورسم صورا حيــة نابضة لما يعانيه وذلك ظاهر جــــلى في (سخرية النــاى) التى كتبها سنة ١٩٢٦ ، (ويحكى ان) سنة ١٩٢٨م و (حواء بلا آدم) ١٩٣٤م و (النقاب الطائر) سنة ١٩٤٠

والناظر فى أعماله يدرك ادراكا سريعا أن طاهر لاشين تؤرقه الهمــوم الاجتماعية التى ينوء بها كاهل الشعب المصرى ، ويضيق ذرعا بذلك الكابوس الذى يجثم على صدر بني جلدته متمثلا فى الفقر والجهل والمرض ، وتذوب نفسه حسرات على الاخلاق المنهارة والقيم المتداعية ، والمدنية الزائفة التى أساء كثير من المصريين فهمها .

والمتأمل في قصته لا يفوته أن يشعر بعبء مسئوليته الادبية الاصلاحية (١) وهذه المسئوليه الادبية هى ما أشار اليها المنفلوطى مراراً ، ورددها في غضون أدبه وقد أفضنا فى بيان ذلك الباب الثانى من هذا البحث . عالج طاهر لاشين فى سخرية النــاى) أثر الفقر على حياة انسان مصرى رمز اليه . بـ (عم

(١) يحكى أن . مقدمة الدكتور أحمد زكي أبوشادى ص ٥

وهدان) وهى معالجة منفلوطية تستدر الدمع ، وتستجلب الشفقة وتحض على التعاطف . (فعم وهدان) هذا لا يخـــرج عن شريد حائر يسلمه الصيف اللافح إلى الشتاء القارص ويطوح به الريف العابس الى الحضـــر المازى يطارده البؤس ويتعقبه الشقاء (١) وفي (يحكى أن) يعالج سبيل المرأة التى تسيء فهم التمدين ولا تعرف من التقدم الا انه ارتياد أماكن العبث والتلفظ بكلمات أجنبية سقيمة ثم ، ما يدور فى اذهان الشباب وهى معالجة المنفلوطي لقضايا الشباب كما أشرنا الي ذلك وتطلع الطبقة الفقيرة الى آمال الطبقة الغنية .

وفى معالجتة الفنية دلالات اجتماعية أخرى كانحراف الفتاة لانتقامها من التقاليد البالية إلى الحياة الحديثة بدون وعى أو تبصر وانطلاقهـا فى الاخذ باسباب المدينة الغربية من غير وازع ولا تربية وتحدث عن بيت الطـاعة والفهم الخاطيء للزواج ولا يقتصر تأثير المنفلوطى الفكرى على تلك المعالجات وانما يتعداه الى مجال آخر هو مجال البدع والخرافات الدينية .

واذا كان المنفلوطى قد سخر من الدجالين سخرية ممضة وتهكم بهم التهكم اللاذع ونال منهم فان قصة (الشيخ محمد اليامانى) فى مجموعة (يحكى أن) خير دليل على ذاك التأثر الفكرى .

فالشيخ اليامانى عند طاهر لاشين دجال مدعى انه من أهل البـاطن وفد الى الراوى طالبا أن يتخـذه ويعد له يد العـــون والمساعدة لأهل الباطن وجيوشهم ومن خلال الحوار والسرد ينتقد لاشين تصرفات وتطورات تلك

---

(١) سخرية الناى ص ٦

الفئة التى خدعت العامة وضحكت على ذوقهم متسترة تحت ستار الدين حينا والصوفية آونة والباطنية أن أمكن واذا كان المنفلوطى قد وجه سهامه الى علماء الدين الذين يهرفـون بما لا يعرفون ويتجرءون على كتاب الله ، ويقولون فيه بلا علم ولا فهم فلقد تناول (طاهر لاشين) هـذه الظاهرة وسنقتصر على وصفة لرجـل من الذين يفرضون أنفسهم فرضـاً على الدين ويتكلمون بأسمه كلاما هو براء منه يقـول الراوى وقد فتنته أنات موجعة يتنهد بها من بعيـد ناى حزين ويرسلها في دعـة (وينبهنى صديقى فاذا الشيخ مسترسل فى تفسير آيات من القرآن واذا به يعصـرهـا عصراً فيريق روحانيتها ويتخذ من تفل الالفاظ بلسما كان يتنزل على قلوب سامعية سلاما) . .

وهـذا الكلام اشكل بكلام المنفلوطى واقرب مودة الى تفكير السيد ومعالجتـه . .

حسن محمود

تأثر الكاتب حسن محمود بأفكار المنفلوطى ومعالجاته وكتابات حسن محمود فى (السفور) خير دليل على ذلك . .

ولقد عزى حسن محمود ذلك الظاهر الفني الذى يتخذه بعض رجال الدين سياجاً يحميهم من التشهير والتناول وقدم لنا شيخاً من حملة القرآن المحترفين لقراءته يغضب غضبا لاحد له لأن زوجه أنجبت أنثى ويستغل حسن محمود هذا الحدث غير المركب ليجعل منه عملا فنياً كبيراً محللا نوازع الرجل ومبيناً نزعات الشيطان لديه ويسوق ذلك كله فى قصته « الزوجة الأثيمة »(١) .

ويقدم حسن محمود على معالجة ثانية طالما ندد بها المنفلوطي وشنع عليها وهي فرية المحلل التى شاعت وراجت آنذاك(٢) .

يتقدم رجل ثرى إلى طالب في الأزهر تبدو عليه المسكنة ويحوط به الفقر طالباً منه أن يكون محللا لزوجته التى بانت منه وهو يتوسم فى الطالب الصلاح والتقوى ولذا فلن يقترب من زوجه ولن يمسها بسوء .

وفي مقابل صنيعه هذا فسوف يشترى له المخطوط الثمين الذى يمنى نفسه باقتنائه وتم الإتفاق ولكن الطالب المستور الحال بعد أن قضى مع المرأة ليلة غدا شيطاناً رجيماً ، واعترت الرجل الدهشة ولم يعلم ما ألم بالشاب . ولكن

---

(١) السفور ١٩٢١/٤/٣ م .

(٢) السفور ١٩٢٢/٧/٥ م .

كان هناك شيخ واقف على باب مسجد الأزهر وهو يعلم الحقيقة هـذا الشيخ بعمامة حمراء وكان يضحك ملء شدقيه سروراً ..

ومن الذين أثر فيهم المنفلوطي فكرياً الأســتاذ ابراهيم المصرى ولا سيما مجموعته (كأس الحياة) تلك التي تعنى عما عنى به المنفلوطي من تصوير العلاقة الاجتماعية بين الشعب المصرى والعمل على إبراز ما يكتنف تصرفاته من أخطاء ومعالجة ذلك والتصدى لدرء تلك الشرور.

وفى مجموعة الأســتاذ المصرى نبصر غيرة أم من بناتها. وتبلغ بها الغيرة أقصاها فتتصدى لخطأ بهن، وتنال منهن ما تبغى.

وإذا كان المنفلوطي قد حمل الرجال تبعة تثقيف المرأة وتنويرها، والرق بأخلاقها واحترام مشاعرها فإن المصري يسير على ذلك المنوال فيقــدم لنا فى قصة أخرى من مجموعته رجلا مستهتراً، لم ينل حظاً من تربية، ولم يحترم قداسة الروابط الزوجية، فيظل يزين لإمرأته المنكر ويجمل لهـا القبيح، ويحفزها ويدفعها للفجور، حتى تقترف الإثم، وتهوي إلى قرار الحضيض.

وإذا كان المنفلوطي يتعاطف مع الفقراء، ويصورهم أبطالا يستأهلون الحب والتقدير، فأن (المصرى) قد سار على ذلك النهج، ورسم لنا في قصة أخرى من مجموعته، صـورة لإمرأة فقيرة معـدمة، قد نال الفقر من زوجها وأجهز عليـه، وتراكمت المسغبة على أهل البيت، وأدرك لفيف من ذوى الثراء ذلك، فحاموا حول المرأة عارضين عليها المساعدة في سبيل قضاء وطر، باذلين أموالهم لقاء متعة..

ولكن المرأة الفقيرة تعصمها أخلاقها عن الإنحراف ، وتقيها تربيتها سوء السبيل .

وفى هذا تأثير بالمنفلوطي وبدعوته إلى الإصلاح ، واقتداء به فى معالجة أدواء المجتمع ، وتوظيف الأدب لخدمة الإنسان .

ومن الذين تأثروا بالمنفلوطي فكرياً الأستاذ صلاح ذهنى فى (الكأس السابعة) .

فالملامح المنفلوطية تتخلل صلاح ذهنى .. الذى اهتم بالتربية ، وأثرها على العلاقات التى تسود المجتمع . وصور لنا صلاح ذهنى قصة مهندس بلغ من العلم المدنى مبلغاً كبيراً يحسد عليه ، ولكنه كان سيء التربية لا يعرف عن الحضارة إلا الاقتراف والمنكر ومعاقرة الشر ، والعكوف على العربدة والفجور . ويتزوج هذا المهندس من فتاة مصرية ذات تقاليد لا تعرف الوهن وسمات لا تعرف الخنوع ، ولكنه يحاورها ويستحثها على نبذ تلك التقاليد البالية ، وطرح تلك التصورات التى لا تجدى الآن ، وأغراها بداية بالشراب فلما شطت فتاها إلى الإنحراف مزيناً سبيله ، مفرطاً مسلكه ، مثنياً على من يقترفه ، فانحرفت الزوجة وكل تلك سمات منفلوطية .

وكما عالج المنفلوطى أثر الجهل على حياة الشعب ، فلقد عالج صلاح ذهنى ذلك أيضاً وجاء بنمط يقترب من أنماط المنفلوطى .

يمرض شاب وتسوء حالته ، ولكن أمه تأبى عليه بأن يذهب إلى الطبيب مفضلة الوصفات البلدية والأحجبة والبخور زاعمة أن ذلك أجدى سبيلا ، وأحسن عاقبة . ولكن الإبن تزداد حالته سوءاً ولا يزيده ذلك إلا وبالا

وهزالا ويتزلف اليها كثير من الناس راغبين فى صرفها عما تنوى . ولكن المرأة لا تعيرهم أذنا صاغية ، وتركب رأسها وتهزأ بهم وبنصحهم . وترتمى في أحضان الدجالين والمشعوذين . والذين لا يرقبون فى مؤمن الاولا ذمة . حتى يشرف الابن على الموت ويبور مسعاها ورغم ذلك تتمسك به جهلا وغباء حتى يموت بين أحضانها زاعمة أن ذلك فرط حنان وانها بصنيعها هذا تسدى له من المعروف مالا يفهمه غيرها . . وتلك مواقف منفلوطية .

ومن الذين تأثروا بالمنفلوطى فكريا . الاستاذ محمود كامل .

ويبدو هذا الاثر جليا فى (العين تبكى) له .

وذلك المسلك مسلك منفلوطي . وقد صور محمود كامل العيوب الاجتماعية تصويرا فيه كثير من الاسى وعرض نماذج لعلاقات مريبة بين فئات الشعب المصرى وهى دعوة اصلاحية نادى بها المنفلوطي فى أدبه ، وحض عليها فى كتاباته مرارا .

كما أهتم الأستاذ (محمود كامل) بالعلاقة بين الرجل والمرأة . مصورا المرأة أحيانا جاهلة أو غنية لا تعرف سوى الاطيان والاموال ولا تهتم لغيرها . واما متفرنجة تزعم ان المدنية شهوة وعربدة وإماسيئة التربية لاتجيد سوى الحديث المفترى ، ولا تبرع فى غير الافك والوقيعة .

والرجل إما جاهل لا يعرف ماله وما عليه . أو مغرور يزعم أن الرجولة تحكم وسيطرة أو مخادع يتزلف ومستهتر لا يتوقف .

ومن الذين تأثـــروا فكريا بمنهـج السيد مصطفى المنفلوطي فى كتاباته الأستاذ المرحوم سعيد العريان . في (من حولنا)

فلقد أشبع فيها الحديث عن التربية الزائفة والهادفة ، وميز بين الأساليب النكرة والمستهجنة التى تشيع بين الطوائف والطبقات وتحدث عن أثر الشهوة اذا لم تنظم فى دفع الفرد نحو الرذيلة ويتناول أثر الريبـــة في الأسرة اذ يروى قصة امرأة منحرفة تدع ولدها وزوجها وترتع في كلأ المحرمات غير مذعنة الا لشهوتها . ولا ملقية بالا الا للذتها . وبعد أن تقضى لبانتها وتنال بغيتها ولم يبق فيها مطمع لطامع تقفل عائـــدة الى زوجها وولدها ولكنها لم تجد من الابن الا النكران .

وطابع المنفلوطي واضح فى تلك الاعمال لسعيد العريان . .

ومن المتأثرين فكريا بالمنفلوطى . الاستاذ المرحوم عبد الحميـــد جوده السحار وخصوصا مجموعته القصصية (همزات الشياطين) ففيها الجـــانب الاصلاحي والمعزى التهذيبي والمعالجة المنفلوطية

ويركز السحار على علاقة الرجل بالمرأة . ولاسيما تلك العلاقاتالعشوائية والتى مردها الى سوء التربية والفهم الخاطىء والنأى عن الهـــدى الدينى والسمت الشرقي .

ومن القصص التى تشهد بأثر المنفلوطى . تلك القصة التى تحكى عن رجل متزوج يتبرج لجارته ويطاردها ، ويتربص بها ،ولا يدع وسيلةالا وسلكها

ولا طريقا الا وصار فيه حتى أدرك ما يبغي ، وقال جارته وغدت خليلة له وعلمت بذلك زوجته . فلم تحرك ساكنا ، ولم تبد تأففا ، ولم تظهر معارضة وانما تسامحت وصفحت عنه وحاملته .

وذلك غريب على الاخلاق الشرقية ، والعادات المتوارثة لدينا . وهذا العمل الواعظ أقرب ما يكون الى المعالجة المنفلوطية .

و كذلك من المتأثرين بالمنفلوطي فكريا . الأستاذ المرحوم أمين يوسف غراب فى (هتاف الجماهير) و (أرض الخطايا) و (يوم الثلاثاء) ونجيب محفوظ لم يفر من التأثر بالمنفلوطي ، ويبـدو ذلك الاثر فى مجموعته (همس الجنون)

ويعرى نجيب محفـــوظ العلاقات عن سياجها ، ويكشف النقاب عن التصرفات التى تجرى بين الناس . . فلقد بلـــغ من انحطاط الخلق وموت الضمير أن يذهب وصولى الى بعثة علمية ويحرم منها من يفوقه كـفاءة وعلما وتلك المرأة المنحرفة التى تفترف الاثم سرا . ثم يكتشف زوجها فجأة أنها تخونه وذلك لأنه استيقظ مرة ليلا فسمعها تهذي بحـــديث الخيانة بألفاظ المجون .

وذلك الكهل الغني الذى كل مؤهلاته أنه يملك المال . وليس وراء ذلك من شيء لديه . وتسول له نفسه أن يقترن بفتاة صغيرة زاعمـا أنه يستطيع بماله أن يسيطر عليها ، ويتحكم فيها ولكن الفتاة الشابـــة تطحنها العاطفة

وتؤزها الشهوة المكبوته، وتمور بداخلها نوازع الشـــر وكوامن الحرمان فتلقى نفسها فى أتون الحرام. تعب منه في سرف وتشرب منه شرب الهيم.

وتلك نظرة منفلوطية:

ومن أثر المنفلوطى الفكرى فى الأدب الجديث ما كتبه الأستاذ محمد عبد الله عنان في ملحق السياسة قائلا « شغف فريق من كتابنا الأحداث بالكتابة في الأدب الغربى وأطواره ومناحيه شغفا يملك عليهم كل شيء وترى لهم في كل يوم حديثا عن (الدرامة) و (والرومانتزم) والمـــذهب الواقعى. أو عن برناردشو. وأوسكار وايلد. وترجنيف. ودستويفسكى. وابسن. وهؤلاء الذين يطربهم رنين الأسماء الغربية والموضوعات الغربية وهم أقل الناس تزودا بآداب اللغة التى يخرجون بها مباحثهم، وهم أكثر الناس جهلا بما يموج به تراث العربية من كنوز البيان والأدب، وبما يفيض به ثبت كتابها ومفكريها من الأساتذة فى كثير من فنون التفكير والأدب، فهم اذا كتبوا عن التاريخ كتبوا عن الثورة الفرنسية أو الوحـــدة الايطاليـــة أو نابليون أو كرامو بل » (١)

ونلقى صدى لأثر المنفلوطي لدي الأستاذ فكرى أباظه فى بعض ما كتبه فى (الضاحك الباكى) وكذلك فى مقال له نشر فى ٢٧ / ٣ / ١٩٢٦ بعنوان (التقليد زم) رصد فيه أنواعا من التبعية ونماذج من التقليد الأعمى، وعدد الطوائف التى تهيم بالاوربين وسخر من محاكات أولئك للاوربيين في الطعام

(١) ملحمة السياسة في ٢٦ فبراير سنة ١٩٣٢

والشراب وهذا امتداد لما كتبه المنفلوطى عن (أمس واليوم) و (الأدب الكاذب) يقول المنفلوطى « أصبح الرجل فى منزله يستحى الحياء كله أن يطلع منه الناس على جهل يبعض عادات الاوربيين حتى فى لبس الرداء وخلع الحذاء أكثر مما يستحى من الله ومن الناس أن يهجموا منه على أرزل الرذائل وأكبر الكبائر .

وتجد أثر المنفلوطى لدى الأستاذ المرحوم محمد توفيق دياب عندما هاجم الأخلاق المنهارة ، وثار على التقاليد المستحدثة التى تنحر فى عظام الأمة . وكذلك حينما ثار على ما أبصره من عهر وفجر وتبجج وهاجم فى شراسة الرقص والخلاعة وحض على أخلاقنا وشرفنا ، وأهاب بأهل الرأى والأمر . ولكن لا حياة لمن تنادى (١)

واذا كان أدب المنفلوطى يقوم على تقديم نماذج حزينة من المصريين . وجل أبطاله من البؤساء الذين أذلهم الفقر ، وأهانتهم المتربة هذا منظرهم يستدر الدمع ويكلم الافئدة الحية . فان تلك الاعمال حاكاها المرحوم الشاعر أحمد محرم فى قوله .

القوت يسلب واللباس ، وما حوت دار الفقير من المتاع الفانى
نام الذى أفنى الخزائن ظلمه والدار تشهد مصرع السكان
نقمو الشكاة على الحزين فأمسكوا منا بكل فم وكل لسان
نفضوا الكنانة من ذخائرها فهل نفضوا جوانبها من الاحزان ؟(٢)

---

(١) السياسة الأسبوعية ١٩٢٦/٦/١٩ م (٢) ديوان محرم ج ١ ص ٤٩

وهذا وأدب المنفلوطي يخرجان من مشكاة واحدة والأثر ظاهر بينهما :

وإذا كان المنفلوطي قد جهد نفسه في النعي على المصريين حينما أسلموا قيادتهم للغرب ، وقلدوهم في كل شيء ــ وقد قدم نماذج لذلك . وإذا كان لابد من التقليد فلنقلد أجدادنا وما ذلك . الا لأن أوربا التي تهيم بها الآن لم تتقدم وتزدهر الا بعد أن قلدت المسلمين الأوائل وأخذت عنهم . وهذا المنهج المنفلوطي ردده شعرا المرحوم أحمد الكاشف . قائلا :

وأنتم بتقليد الجدود أحق من ... عدى سلبوكم مظهرا كان زاهيا
أسركم أن المحارم تستبي ... ولم نلق فيكم عن حماها محاميا
وان لكم سيفا من الدين ماضيا ... يفل اذا جردتموه المواضيا
فأحيوا به نهج النبي وجددوا ... مقاما لدين الله أصبح باليا (١)

واذا كان المنفلوطي قد سخر من حركات المتصوفة ونال منها وبين مدى بعدها عن الدين فان الكاشف يسير على ذلك النهج ويتبع سبيل المنفلوطي وذلك حين يقول :

هاجه الوجد فمالا ... يذكر لله تعالى (١)
مرغيا كالجمل الصعب إذا حل عقالا
قلت : هل تبغى بهذا الرقص بالله اتصالا
قال : هذا خير ما ارتاض به الراجى كمالا

---

(١) المقتطف ص ٦٨١

ولقد عالج المنفلوطي موقف العلماء المسلمين الذين تنكبوا طريق الرشاد ورتعوا في الضلال والغي ، وصرفوا هومهم الى الدنيا ، فـذاع المنكر ، وانتشر الفساد واختفت السنة وراجت البدعة . وهـذه المنفلوطية نظمـها الكاشف شعرا تحدث فيها عن النزهات والاوهام . والفهم الخاطىء لدين الله .

انا لاقو الاطباء استعاذوا — وخاضوا في الظنون السيئات
وقالوا في منـازلنا دعـونا — فان المـوت في المستشفيات
وان لنا من الرايات عنكم — غني لعلاجنا ، ومن الرقاة
ولولا غفـلة العلمـاء عنهم — لما تركوا الوساوس غالبات

اذا استفتوهموا قالوا استعينوا بصـبر ، واخضعـوا للكارثـات
نرى ان لافـرار من المنايا — فنهـزأ بالدواء وبالأساة
وبالعدوى وان نقموا علينا — سوى وهم النفوس الحائرات
وإن تك نقمة فقد احتمينا — بأسرار البخارى الشافيات
وان لنـا على الله اعتمادا — وأسبابا اليه واصـلات

وكم تعاطف المنفلوطي مع البؤساء ووقف مع الذين ناصبهم الدهر العداء وعالج عديدا من القضايا الاجتماعية ـ كما بينا في البـاب الثاني ـ فالسارق المسكين الذي تمتد يده ـ وهو مضطر ـ يدخل السجن والسارق الغني ذو المكانه التي تمتد يداه يكافىء ويبجل ، وأثار ذلك المنفـلوطي فكتب عن (اللص) الذي يزج به في غيابة السجن ، وتتضور بطن زوجـه ولا يجد

أولاده من حولهم . بينما يرتع السارق الحقيقى فى كلأ مباح من الرغد ويعيش فى بلهنية . ولقد أخذ هذا المعنى (سليم عنجورى) فقال عن اللص .

لزم السجن زوجها ورجال البغى فازوا بسؤدد وعلاء

واللصوص الكبار صاروا قضاة   واللصوص الصغار أهل الشقاء

سلبوا المال رشوة واستباحوا العرض جهرا وهم من العظماء

«١» ولقد وفق الأستاذ عباس خضر حينما قال عن المنفلوطى :

وفى أدبه لمحات نقدية تقدمية ، اذ سبق بها دعوات الى الاصلاح أثيرت بعده وتحقق أخيرا ماتدعوا اليه ولقد توهم لفيف من الأدباء زاعمين أن أدب المنفلوطى ليس الا صياغة وتركيبا ولم يعالج من قضايا المجتمع شيئا . وساروا وراء سراب من الخداع ولكن أدب الرجـــل حى نابض عالج مشكلات وتصدى لمـــا ينفع مجتمعه وأثر تأثيرا كبيرا فى الفكر الأدبى الحديث فى العالم العربى .

ولربما خدع بعض من لاينفذون الى لباب الأمور وإنما يقنعون باليسير من ظاهر الأمر . ربما خدعوا بتلك الدعاوى العريضـــة التى يروج لها أصنام الأدب وغرانيق الثقافة .

ولعل من أشهر الاتجاهات ما يزعمون من أن أول من نبه الى ضرورة توظيف الأدب واستخدامه فى الوعى الاجتماعى انما هو الأستاذ سلامه موسى

وقد يكون مما دفعهم الى هذا الوهم ، وحدا بهم الى ذلك المعتقد قول الأستاذ سلامه موسى .

---

(١) القصة القصيرة فى مصر ص ٩٤ الدار القومية ـ ١٩٦٦

(أن أول واجبات الأديب فى مصر أن يخدم أدبه أو فنه المجتمع بأن يدعو إلى الاصلاح (١) أو قول الأستاذ توفيق ميخائيل .

أنه أجدى على الأدب وخير للاديب أن يقصـــد الى الفائدة لا إلى التباهى بالقدرة) ونحن نعتقد من جانبنا ان هــذا الكلام مأخوذ من أدب المنفلوطى ومتأثر به وما ظنك برجل لم يكن يرمى الا الى النفـع ولم يشرع القلم الا ليغير ولم يكن منشئا مترسلا كما يتهم .

وانما كان صاحب اتجاه وفكر (فأنا انما أكتب للناس لا لأعجبهم بل لانفعهم ولا لاسمع منهم أنت أحسنت بل لاجد فى نفوسهم أثراً مما كتبت (٢)

وحرى بأديب هذا منهجه أن يكون ذا تأثير ولم لا ؟ !

وهو يدرك فداحة الخطب ويستشعر ثقل التبعة ويؤمن برسالة اليراع . ويقدس الهدف النبيل الذى تصنعه الكلمة الراشدة والجملة الهادفه المطمئنة . وماذا تنتظر من رجل يقول :

(أن فى أيدينا معشر الكتاب من نفوس هذه الأمة وديعـة يجب علينـا تعهدها والاحتفاظ بهـا والحدب عليها حتى نؤديهـا الى اخلافنا من بعدنـا (٣) .

---

(١) السياسة الأسبوعية فى ٦ / ٤ / ١٩٢٩

(٢) النظرات ج ٢ ص ٥١

(٣) النظرات ج ١ ص ١٢٠

وهكذا كان المنفلوطي قطبا تتجه اليه الانظار وكان أدبه مرآة صافية مكس الام وآمال أمته ورأى فيه أرباب القلم معينا خصبا فصيروا أنفسهم لميه وعكفوا ينهلون من مورد عذب .

وقلما حمل أديب قلما الا وتأثر بالمنفلوطي في معالجته وكتاباته .

وكفى بذلك دليلا على تأثير الرجل فى الفكر الأدبى الحديث .

الفصل الثانى

أثر المنفلوطى أسلوباً :

يمتاز المنفلوطى في أسلوبه بجمال العبارة وموسيقية الجملة وعذب وقع الألفاظ فى الأذن وسهولة الترديد فى اللسان ، هذا إلى الفصاحة والبيان والبلاغة .

ولاقت طريقة المنفلوطى من الرواج فوق ما تمنى وغدت سمة لكل من يتحرك بين أصابعه اليراع ومنزعاً يرومه عاشق البيان ، وطالب الإعراب والإبانة . .

وغدا المنفلوطى بذلك قطباً تهوى إليه الأفئدة وعلماً ترنو إليه العيون فى إكبار وإعجاب وإذا كان شوقى قد أصبح العلم فى الشعر فإن المنفلوطى قد تزعم النثر وسيطر على اتجاهه ومنحاه ، حتى غدت له طريقته التى عرفت باسمه وأصبح المنفلوطى علمها البارز(١) .

وغلبت طريقة المنفلوطى وسيطرت على الكاتبين فى الأدب الحديث ، وقد استرعى ذلك نظر العقاد إذ رأى جميع طلابه يكتبون على نمط المنفلوطى(٢) .

---

(١) تطور الأدب الحديث في مصر ص ١٧٤ د أحمد هيكل دار المعارف سنة ١٩٦٨م .

(٢) مجلة المجلة العدد ٧٠ سنة ١٩٦٢ تحت عنوان (المنفلوطي كما عرفته) .

وطريقة المنفلوطي تلك قد جرت عليه كثيراً من الخصومات الأدبية ، والخلافات التي احتدت حيناً ولانت أحياناً ، وتركز الهجوم في نقطتين ، طريقة الصياغة وما فيها من تكلف ، وموضوع أدبه وما يعالجه .

وصوبت السهام إلى المنفلوطي ترميه بالتكلف اللفظي ، والجري خلف رصانة الأسلوب ، وبريق الصياغة وجلوة العرض . وجعل النقاد ذلك عيباً في طريقة المنفلوطي وقد نسوا أن « الذي يمتاز به الفنان الأديب على غيره هو الإحساس اللفظي وآية ذلك علمه بما تستطيع الألفاظ أن توحي به وحياً وهذا الإحساس اللفظي هو كذلك الذي يميز القارئ الذي يتذوق الأدب »(١) .

وإذا كان المنفلوطي قد عني بالصياغة فليس ذلك بدعاً في الأدب العربي ، إذ اللغة العربية لغة موسيقية وحروفها ذات رنين وجرس ، ولنا في تراثنا كتابات نثرية هي عزف لفظي على أوتار الصياغة . والأب الفرنسي مثلا فيه من اهتم بالصياغة والأسلوب يقول Chateaupriad شاتوبريان « لا تحيا الكتابة بغير الأسلوب ومن العناء الباطل معارضة هذه الحقيقة فإن الكاتب الجامع لأشتات الحكمة يولد ميتاً إذا أعوزه الأسلوب .

وجوستاف فلوبير Floupert كان لا يكرر صوتاً في كلمة ولا يعيد كلمة في صفحة .

ومن أشد الأدباء هجوماً على المنفلوطي د. طه حسين والأستاذ ابراهيم المازني .

---

(١) قواعد النقد الأدبي - ابروكني . ترجمة د. محمد عوض محمد ص ٣٩ .

أما المازنى فقد تناول المنفلوطى وأسلوبه فى « الديوان » وكتابته غير مبرأة ، وحملته غير خالصة لوجه النقد . إذ سد المنفلوطى على المازنى السبيل وكان عقبة في شهرته ويفسر لنا الأستاذ الزيات سر تلك الحملة التى اضطلع بها الأديبان الكبيران العقاد والمازنى من وجهة نظره . مرجعاً ذلك إلى الحسد والموجدة . فلقداستحوذشوقى والمنفلوطى على ألباب القراء .وسيطروا على عالمى الشعر والنثر « صاحب الشوقيات بشعره الرائع وصاحب النظرات بنثره البليغ . ولكنهم ـ المازنى والعقاد ـ كانوا أصحاب معول ومسطرين يهدمون بالنقد والثلب والتجريح »(١) .

أما الدكتور طه حسين فقد تناول المنفلوطى فى أوائل القرن الحالى ، وانما دفعه إلى ذلك التهكم والنقد صلته الحميمة بالشيخ عبد العزيز جاويش . فلم يكن نقد الدكتور طه خالصاً كذلك ـ لوجه النقد . وانما كان مجاملة لرجل له على الدكتور الفضل الكبير . . . وهما ـ المازنى ود . طه حسين . بعد ذلك من الذين تأثروا بالمنفلوطى أسلوباً ، وليس ذلك بالأمر الغريب . لأن المنفلوطى كان ذا مكانة توغر صدر الشانئين وذا أسلوب يقبل عليه النشء إقبالا لا نظير له . . « والحق أن المنفلوطى كان قائد مدرسة عملت على الخلاص من العجمة واهتدت إلى صفاء الصقل ونور الديباجة ، وقد أشرقت على العالم العربى إشراقاً أخاذاً . فأخذ النثر على يد المنفلوطي يحل محل الشعر فى روعة التأثير . وقوة الإحساس وصفاء الرونق »(٢) .

---

(١) وهى الرسالة ج ٣ ص ٢٨٩ ط ٣ تحت عنوان (رحم الله المازنى) .

(٢) مجلة الأديب البيروتية يوليو سنة ١٩٧٥ د . محمد رجب البيومى الأستاذ بكلية اللغة العربية بالرياض .

ويرى مستشرق انجليزى ان كتابات المنفـــلوطى « كانت بمثابة الوحى يهبط على جمهور تعود قراءه أدب الكلفة والتصنـع . وقد انتشرت طريقة المنفلوطى انتشارا واسعا بين قراء العربية من بغداد الى مراكش . كما كانت تمثل الشعور الذى تردد صداه فى العالم الإسلامى أبلغ تمثيل » (١)

أثره فى الدكتور طه حسين :

لأسلوب المنفلوطى أثر لاينكر لدى الدكتور طه حسين وان كان د طه لم يعترف بذلك لكن الاستقراء والتتبع يوقفانا على مابين أسلوب الرجلين من المشاكلة والترابط . فالجمـــلة الفصيحة والتكرار واختيار الكلمات والعناية بالصياغة أمر مشهود ومقرر لدي الأديبين . ولسنا نزعم أن كل أديب يعنى بصياغته انما تأثر بالمنفلوطى ولكن الدكتور طه حسين تجاوز ذلك حتى قال بالتأثر بعض الدارسين . والذى يقرأ مقالات الدكتور طه حسين في بداية هذا القرن . يجد الأسلوب المقتصد فى الجمـــال . المعنى بالفكرة ، الرامى الى التعبير المباشر السريع . ومن هنا هاجم د. طه حســـين بعض الكتاب الذين يكلفون بالصياغة ويهتمون بررونق العبـــارة من أمثال الرافعي والمنفلوطى وصادق عنبر . وشكيب أرسلان . والبشرى .

ثم ألفينا الدكتور يعدل عن ذلك الأسلوب ، وينحو نحو التأنق والجمال ويفتن فى عبارته . ومن كتاباته التي تأثر فيها الدكتور طه حسين بالمنفلوطى

---

(١) مجـــلة الرسالة ٢ / ٢ / ١٩٤٠ تحت عنوان (المنفلوطي في رأى مستشرق انجليزى)

(الأيام) في بعض لوحات وفقرات . (على هامش السيرة) في الوصف والسرد و (القصر المسحور) في رنين الالفاظ ، وموسيقية الكلام وترنيمة الصياغة و (أحلام شهر زاد) في المبالغة ولا يقال ، والجنوح الى الخيال الجامح ، والاهتمام بالسيطرة على فؤاد القارىء . وكثير من كتابته القصصية . ومقالاته الانطباعية . ولا سيما اذا ترك للغته الحرية ، وافسح ليراعه المكان ، ولم يحده بحواجز مصطنعة ولم يحل بينه وبين سجيته .

وموضوع تأثر الدكتور طه حسين بأسلوب المنفلوطي موضوع طويل ومتشعب يحتاج الى مزيد من جهد ومدد من تأمل وروية . ثم هو - بعد ذلك - موضوع طريف جدير بالاهتمام والتناول .

واذا كان المنفلوطي يجنح الى المبالغة في الوصف حتى يقترب من الايغال فان الدكتور طه حسين يصنع ذلك الصنيع . ويفعل ذلك العمل في شهر زاد لما فعل السحر لدى شهريار (تمضي يدهـا رفيقة في شعر رأسه فتبعث في جسمه طمأنينة وهدوءا . وفي نفسه أمنا وراحة وروحا (١) فلا يكتفي د. طه حسين رحمه الله بالطمأنينة حتى يقرنها بالهدوء . ولا يقنع بالأمن وانما يضيف اليه الراحة والروح . وما ذلك عن مبالغة المنفلوطي . ولا سيما في نظراته ببعيد . .

ولم يقنع د. طه حسين بما قال عن شهر زاد وانما يبالغ أكثر ويسير على النمط المنفلوطي « وهل شهر زاد آخر الأمر الا قوة متسلطة عليه .

---

(١) أحلام شهر زاد ص ١٠٥ سلسلة أقرأ دار المعارف العدد ١

تصرفه كما تريد . وتدبر أمره كما تهوى دون أن يستطيع امتناعا عليها أو أباء . كذلك انفق شهر يار نهاره الاول كالطفل خاضعا لسلطان امه الحنون تأمره فيأتمر وتنهاه فينتهي واجدا في ذلك اللذة كل اللذة . والنعيم كل النعيم وكانت شهر زاد رفيقة به الى أقصى غايات الرفق . محبة له الى أبعد آماد الحب » (١)

واذا كان المنفلوطي يكثر من الترادف ويعطف الجمل ذات المدلول الواحد على مثيلتها . ولذا قيل عنه انه منشيء وليس بكاتب (٢) فان الدكتور طه حسين يسلك سبيل المنفلوطي ويهتم بهدير الالفاظ وعجيج الكلمات، كما قيل عن المنفلوطي .

يصف الدكتور طه حسين البحر . فلا يخرج عن النمط المنفلوطي . وانما يحتذيه فالجملة القصيرة والمعنى المترادف . واختيار الألفاظ الى المبالغة . واثارة الشعور كل ذلك تجده فى قوله « يثور ويمور » . ويهيج ويموج . ويرسل فى الفضاء أصواتا منكرة . كأنما تتمزق عنها أمواجه تمزقا ولكنه على ذلك لا يبلغ شيئا . ولا يستطيع أن يمس الأرض بأذى » (٣)

والعبارة تكتظ بالمحسنات البديعة ، وفيها المفعول المطلق وهو من الأمور

---

(١) أحلام شهر زاد ص ٤٦ سلسلة أقرأ . دار المعارف العدد ١

(٢) مراجعات في الأداب والفنون للعقاد المطبعة العصرية ص ١٧٠

(٣) أحلام شهر زاد ص ٨٦

التى أخذها المازنى على المنفلوطى (١) والمنفلوطى كم قص علينا من حكايات الحب ، وروى لنا عن البؤساء الذين كانوا يهربون من الغرام لأنهم لم يخلقوا له - فى ظنهم - وانهم كانوا يتوارون بين العشق وسلطانه ويحاولون الفكاك منه . لأنهم يشعرون بالحياء والخجل والخشية تلك الصورة وذلك الاسلوب يكرره طه حسين مرارا . ويكتب به كثيرا ، يقـول عن شاب محب فى اسلوب منفلوطى مثقل بالمبالغة . « ولكن حبه كان يستحى حتى من نفسه فينكرها ، وكان الفتى يخفى شعوره ذلك فى أبعـد ما يمكن أن يستقر من أعماق ضميره . ويكره أن يتحدث به الى نفسه . وقد أستيقن انه لم يخلق لمثل هذا الشعور . وأن مثل هذا الشعور لم يخلق له . وأين هـو من الحب ؟ وأين الحب منه ؟ (٢) والنماذج المنفلوطية لدى د. طه حسين كثيرة وفيرة ولكنا نبين فقط التأثير ولا نتبع الظاهرة . والا فذلك يحتاج الى مؤلف يقف عليه وحده .

واذا كان المنفلوطى كثيرا ما يدير الحديث حـول نفسه ويتدخل فى سياق العمل الفنى فان الدكتور طه حسين طالما فعل ذلك . فيقـول فى أثناء العمل « وقد يظن القارىء أنى قد أسرفت » (٣) أو قوله « انى واثق بأن القراء جميعا علماء (٤) .

---

(١) الديوان ص ١٠٤ ط ٣ دار الشعب القاهرة .

(٢) الايام ج ٣ ص ١١٥ .

(٣) المعذبون فى الأرض ص ٨٧ .

(٤) المرجع السابق ص ٨٩

« وأنا أريد أن أكون دائمـــا ـ كاتبا ذا خطـــر فأرضى قرائى واسخطهم » (١)

« وقد يحب القارىء أن يعرف كيف عبث بهما الأمـــل ؟ » المعذبون ص ٦٤ .

« وهنا ليس يحتاج القارىء فيما أظن الى أن أمضى به في هـذا الحديث البغيض الى غايته » المعذبون ص ٦٠ .

القارىء لا يكتفى بهذا « أو فقد ينبغى أن يعرف القارىء الآن أن قد كانت » كل ذلك أو غيره . تأثر منفلوطى ومن العجب أن النقاد عابوا على المنفلوطى ذلك ،لكن د. طه حسين رغم هذا لم يسلم منه وانما أكـثر ان لم يكن بالغ وزاد .

واذا كان المنفلوطي يثير الشفقة على أبطاله ويستدر لهم الدمع ، ويقف بجانبهم واذا كان أبطاله لا حول لهم ولا قوة لايحركون ساكنا ولا يملكون فتيلا فكذلك أبطال د. طه حسين يثيرون الشفقة ولايملكون غير المسكنة والبؤس . يصف الدكتور بطلة من أبطال قصصه قائلا :

« كانت أم قطام قصيرة مسرفة في القصر ، منحنية مسرفة فى الانحناء، همت قامتها بأن ترتفع فى الجو فلم تستطع أن تستقيم ، وانما تعطف أعلاها على أسفلها كأنها خلقت لتلتصق بالأرض التصاقا . . وكأن صوتهـــا نحيلا ضئيلا . وكانت قد فقدت بعض أسنانها . فكان صوتها النحيل الضئيل

(١) المرجع السابق ص ٨٣

يستحيل (١) اذا تكلمت الى هواء خافت لا يكاد السامع يتميز حروفه الا فى مشقه وجهد » وحتى اذا ترك د طه حسين المعالجة الفنية وأخذ فى الكتابة الاجتماعية ينتقد بعض التصرفات ، ويحمل على مظاهر الانهيار والضياع . فانما يسلك سبيل المنفلوطى ويعالج المشكلات بأسلوبه الأخاذ . لا أسلوب العالم الاجتماعى . وبطريقته المؤثرة التى تلج وتدخل النفوس . لا طريقة الباحث الذى لا يعرف غير الحق . ولا يعول على سواه . يقول :

« ويقبل العيد فاذا المترفون مقبلون على عيدهم كما أقبل عليهم عيدهم لا يشعرون بأن مئات من الأسر فى مئات من المدن والقرى قد كانت تنتظر العيد كما كانوا ينتظرونه وتتشوق اليه . أكثر مما كانوا يتشوقون اليه . وأرسل اليهم الموت نائبا عنه . وأرسل اليهم مع الموت حسرات وعبرات وزفرات . وأرسل اليهم مع هذا كله شقاء ملحا . وبؤساً مقيما (٢) والدكتور طه حسين كلف بالوصف الحسى والعناية بالمدركات المختلفة ، ولا يترك الظاهرة حتى يستقصى لونها وشكلها وجرمها . وهذه طريقة المنفلوطى فى الوصف . وقد أخذ عليه المازنى هذا « ونعود الى صاحبكم المنفلوطى — وما أهول هذا المنحدر — فنقول . . يحسب المنفلوطى ان تكلف التفصيل فى المحسوسات مظنة الاجادة . وفاته — وانى له أن يفهم — بأنه لا يعجز أحدا أن يقول لك هل فلان هذا الذى تراه طويل أم قصير ؟ ونحيل أم بدين ؟ . . وانما محك القدرة فى تصوير حركات الحياة والعاطفة المعقدة .

---

(١) المعذبون فى الأرض ص ٨٩

(٢) المرجع السابق ص ١٩١ ، ١٩٢

لا ظواهر الأشياء وقشورها وفى رسم الانفعالات والحركات النفسية ، واختلاج الخوالج وما هو بسبيل ذلك ، أما تفصيل المنفلوطى فلا خير فيه ، بل الخير فى اجتنابه وتحاشيه(١) .

ولقد لاحظت دكتورة سهير القلماوى اهتمام د طه حسين بالوصف الخارجى واعتماده على حواس معينة ، وإسرافه فى الاعتماد أحياناً(٢) .

وليس فى تأثير د . طه حسين بالمنفلوطى فى الأسلوب ما يثير الحيرة فلقد كان المنفلوطى علماً بارزاً وكانت طريقتـــه تستحوذ على الأفئدة وتمتلك الألباب . ولقد أشار أحمد حسن الزيات إلى أثر مقالات المنفلوطى على د طه حسين الطالب الأزهرى(٣) . وبعض أبطال قصص د. طه حسين متخاذلون سلبيون ، قانعون بظلم الدهر وجور الأيام لا ينتصفون ولا يثورون ، وذلك واضح فى (المعذبون فى الأرض) و(دعاء الكروان) ، فأن هـــذا أسلوب المنفلوطى فى أبطاله ، وصنيعه فى رجاله (فكلهم أناس يبكى عليهم لأنهم مخذولون ينكسرون ، أو مضيعون فى ذمم اللئـام وقرناء السوء ، وقل منهم من هو مسئول عن خيبته ، أو قادر على إنصاف نفسه والاقتصاص لهـا ممن يجنى عليها(٤) .

---

(١) الديوان ص ١١١ ط الثالثة .

(٢) ذكرى طه حسين ص ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ ، سلسلة اقرأ العدد (٢٨٨) دار المعارف .

(٣) وحي الرسالة ج ١ ص ٣٨٦ ط ٦ .

(٤) رجال عرفتهم ص ٦٥ العقاد .

ولقد أشار إلى تأثير د. طه حسين بأســلوب المنفلوطي بعض الدارسين نذكر منهم الأستاذ أنور الجندى ، أشار إلى ذلك فى كتابه (النثر العربى المعاصر) ص ١٩٣ و (أثر النساء في حياة الأدباء) وذلك في قوله : « أثر أسلوب المنفلوطي يبدو واضحاً فى كتابات طه حسين(١) .

وكذلك الأستاذ صلاح عبد الصبور — الذى نختلف معــه كثيراً — أشار إلى ذلك التأثير حين قال : « كان في أسلوب المنفلوطى إشراق لمعان لا تكاد تجد ما يمـاثلها إلا فى أسلوب طه حسين من بعده »(٢) .

وبهذا يتضح أثر المنفلوطي فى أسلوب الدكتور طه حسين بكثير من الإيجاز ، وان كان الأمر يحتاج - كما قلت - إلى دراسة متأنية ، وصبر جميل .

أثر المنفلوطى فى أحمـد حسن الزيات :

بدا أثر أسلوب مصطفى لطفى المنفلوطى واضــحاً جلياً لدى أسلوب الزيات ، إذ انتقلت خصائص المنفلوطى إليه ، وابتعد الزيات عن المـآخذ التى أخذها النقاد على المنفلوطى ، فخلا أسلوبه من كل سيئة ، وتنزه عما يشين وتحلى بسمات الأسلوب الممتاز المؤثر . . .

ولسنا - حينما نزعم تأثر الزيات بالمنفلوطى فى الأسلوب - نجنح إلى الإدعاء

---

(١) أثر النساء في حياة الأدباء ص ٦ أنور الجنـدى ط . دار الإعلام . القاهرة سنة ١٩٥٥ م .

(٢) ماذا بقى منهم للتاريخ ص ١٥٩ صلاح عبد الصبور .

ونميل إلى إطلاق القول ، وإرسال الحكم فلقد غدا ذلك أمراً مقرراً ، وحكما مقبولا ومردداً .

ولعل أول ما يثبت تلك الصلة ، ويعرب عن التأثر ما قاله الزيات فى وحى الرسالة عن أثر مقالات المنفلوطي على نفسه وهو طـالب مجاور في الأزهر . « والزيات مأخوذ بروعة الأسلوب فلا ينبس ولا يطرف »(١) .

ومعنى هذه العبارة يدلنا على مدى أثر المنفلوطى فى نفس الزيات ، حتى أنه لمن الممكن أن يزعم المرء بأن الزيات أكثر الأدباء المعاصرين تأثراً بالمنفلوطي فى صياغته وأسلوبه ، وأدب الزيات خير شاهد ، وكتاباته أظهر دليل ، ووحي الرســالة للزيات امتداد لأدب المنفلوطى ، وبعث له ، ففيه التنسيق البيانى ، وروعة الأداء ونغمة الجملة وتساوق المقاطع واستخدام المحسنات فى مهارة ورشاقة ، الأمر الذى دفع بعض الباحثين إلى القول بأن مقالات الزيات وأدبه فيها وفرة العناية بالإطار وشـدة رعاية جانب الشكل ، حتى ليقل الزاد الفكرى فيها ، ويتضاءل المضمون بها فى كثير من الأحايين . ولكنها تبقى ـ رغم ذلك ـ باهرة باشراق صياغتها ، أخاذة بروعة بيــانها ، هذه الروعة التى تجعل منها في بعض الأحيان شيئاً شبيهاً بالشعر ، وخاصة فى الموضوعات العاطفية والوصفية(٢) .

وما « دفاع عن البلاغة » غير نفثة منفلوطية ، فاذا كان المنفلوطي قد دافع

---

(١) وحى الرسالة ج ١ ص ٣٨٦ ط ١٩٥٧٦ مكتبة النهضة .
(٢) تطور الأدب الحديث ص ٤٣٦ د. أحمد هيكل .

عن الأدب فى بعض كتاباته فإن الزيات قد تصدى لجحافل الأدعياء الذين يجردون الكتابات من الفن ، ويحسبونه ضرباً من الحديث اليومى المعتاد فمتى استطاع الإنسان أن يتكلم فبوسعه أن يكتب ... وتلك فرية قضت مضجع الزيات وهو النغم الذى يطرب حين يكتب . ويشجى حين يفتن . ويؤثر حين يسترسل .

وقد أدرك ذلك الأستاذ زكي المهندس فقال :

« هذا الأسلوب الفنى الرصين قد افتقده الأدباء بعد وفاة المنفلوطى وكان عليهم أن ينتظروا عشر سنوات كاملة حتي ظهرت الرسالة . وكتب الزيات(١).

وأثر المنفلوطى لدى الزيات أظهر من أن يحتاج إلى دليل ، ولا تستطيع أن نأتى بنموذج من أدب الزيات نجل أدبه منفلوطى النزعه والأسلوب ، وقد لمح ذلك الأستاذ سيد قطب فقال عن الزيات :

« هو صاحب مذهب التنسيق التعبيرى ذلك المذهب المتفرع عن المنفلوطى(٢) .

والزيات عند ما يعالج موضوعاً يتحدث عن العاطفة والوصف فإنه ينهج نهج المنفلوطى أيضاً ، ولا يتحدث عنه كثيراً .. يتحدث الزيات عن الدين وضرورته وأهمية تعليمه فى قلوب النشء ، وغرس مبادئه فى نفوسهم، فكأن الإنسان يقرأ للمنفلوطى « الدين هو الطب الوحيد لأدواء المجتمع ، فإذا

---

(١) مجلة مجمع اللغة العربية ج ٢٤ ص ٣٢١ .
(٢) كتب وشخصيات ص ٢٧٣ ط بيروت .

غرستموه في قلوب النشء وقويتموه في نفوس الشباب ، جعل الأمة أسرة متماسكة البناء ، متضامنة الأعضاء ، يعين سعيدها الشقي ويحمل قادرها العاجز ، حتى يقطعوا مراحل الحياة رافهين لا يمسهم نصب ولا تجافى بينهم عداوة (١)

وقد بينا في الباب الثاني موقف المنفلوطي من الدين ، وما ذلك القول عنه ببعيد .

ويكاد الزيات ينطق بلسان المنفلوطي حينما يكتب معالجاً الفقر ، والضائقة التي تطحن المجتمع . . فهو يفكر أولي الأمر أن يعالجو الفقر بما عالجه الله . . فيجبوا الزكاة وينظموا الإحسان ؟ . . انهم ان يفعلوا ذلك لا يجدوا (٢) في البيت عائلا ، ولا في الطريق سائلا ، ولا في المواخير ساقطة(٣) ، أما الأدب الوصفي والانطباعي فالأثر لا يحتاج إلى أكثر من تقديم مثال واحد فيه غناء لمن بقي في نفسه شك من هذا . يقول الزيات :

« منذ أيام تيقظت الطبيعة من رقادها الطويل ، وأخذت تنضح جفنها الوسنان بأنداء الربيع ، وتبحث عن حللها وحلاها في خزائن الأرض ، وتأهب كل حي ليحتفل بشبابها العائد وجمالها المبثوث ، فالحياة الهامدة تنقش في الغصون الذابلة ، والطيور النازحة تعود إلى الأعشاش المقفرة ، والافنان

---

(١) وحي الرسالة ج ٢ ص ١٢

(٢) لعل تصويبها فلن . . . أو (لا يجدون) .

(٣ وحي سالة ج ٢ ص ٣

السليبة تنفطر بالأوراق الغضة، وبارض(١) النبت يحول على أديم الثرى أفواف الوعي » (٢) .

وأدراك أثر المنفلوطي لدى الزيات لا يكلف عناء ، وانما يلحظه من عنده نصيب من الادراك ومقدار من التميز ، وما ذلك على الأدباء بعزيز .

تأثـر عـام :

قد يكون من قبيل الاسراف أن نتبع أثر المنفلوطي لدى كل أديب يجود فى صياغته ، ويهتم بعمله . وذلك يخرج بالبحث عن الحد المقتصد الى حيز الاسراف والتجوز ، ومن هنا فلسوف نحجم عن الاستقراء والتتبع . ولن تدفعنا العصبية للمنفلوطي الى القول الذى لا دليل عليه .

واذا كان بعض الباحثين يرى للمنفلوطى أثرا على كل من الرافعى وطه حسين و الزيات . والبشرى (٣) فذلك أمر مرده الى الاعجاب الذى يدفع الي المبالغة .

فعبد العزيز البشرى لم يتأثر بالمنفلوطى . لأن طريقته لا تشاكل طريقة المنفلوطي واسلوبه ذو خصائص يعرف بها . قد يكون منها جمال الصياغة ، ولكنها ليست جلى مافيه ، ولا تقترب من النمط المنفلوطي .

---

(١) البارض : أول ما تخرج الأرض من النبات

(٢) وحي الرسالة ج١ ص ١٤

(٣) (أثر النساء في حياة الأدباء) لأنور الجندى و كرر هذا فى كتابه (النثر العربى المعاصر) .

. أما مصطفى صادق الرافعي . فأول أثر نثرى له ظهـــر في مؤلف فهو « حديث القمر » و كتبه حين كان المنفلوطي يكتب مقالاته في المؤيد . فهما متعاصران . وأدنى نظر في حديث القمر يقطع بالبون الشاسع والفرق البعيد بينهما . فجملة الرافعي لها خصائص تركيبية تختلف كثيرا عن أسلوب الجملة المنفلوطية . واستخدام اللغة أشد اختلافا وان كان أعرب عربية لدى الرافعي .

ولقد تأثر بالمنفلوطي في اسلوبه كثير من الأدباء في الأدب الحديث ومن العسير حصرهم جميعا . وان كان من الممكن ذكر بعضهم ولا سيما من كان التأثير لديه ظاهرا . ومن اولئك . محمد سعيد العريان . ومحمد عبد المنعم خلاف وكامل الشناوي في كتاباته النثرية ، حسين عفيف ، محمد زكي عبد القادر ، وطاهر لا شين ، ومحمد عبد الحليم عبد الله ، ومحمود تيمور ، وسيد قطب والدكتور الشيخ أحمد الشرباصي ، وفتحي رضوان ، ود محمد مندور ، وكثير من أرباب القلم وأولى البيان .

أما أثر المنفلوطي في العريان . وخلاف والشناوي وتيمور . ومن لف لفهم فأمر واضح . وكتاباتهم تنم عن ذلك ، وتعرب عن التأثر في غير ما مواربة ولا استحياء . أما الدكتور محمد مندور . فلقد كنا نرتاب في ذلك. غير أنه أعترف بتأثره بالمنفلوطي . وأعلن ذلك على رءوس الاشهاد (١) وأعلنها في جريدة ذائعة .

واذا كان المنفلوطي قد أثر في العديد عن حملة القلم فليس ذلك غريبا عليه.

---

(١) صحيفة الجمهورية ١٦ / ٨ / ١٩٦٢

لانه العلم الخفاق في الحياة الأدبية . ولقد كان يصـــدر العمل المفرد فتهتز له مصر ويهيم به كل قلب . « وسرعان ما أصبحت رواية الشاعر المنفلوطي شيئا لا غنى عنه في حياة مصر (١)

وأديب له ما للمنفلوطي من مكانه لا بد وأن يكون له تأثير كبير والدراسات والشواهد تشي بأثر الرجل على الادب الجـديث في الأسلوب . فكتبه التي ما زال تتداولها الايدى ، وتهيم بها الاذواق ، ويتعشقها أولو النهى وتتعدد طبعاتها. والدراسات التي تكتب عنـــه بين الفينة والفينة . ولقد أتى على المنفلوطى حين من الدهر كان المثل الأعلى للبـــلاغة والفصاحة .. وكان المعلمون ينصحون كل من يأنسون لديه بشائرا استعداد أدبي ويتوقعون منه خيرا ينصحونه بأن يحفظ المنفلوطي ، وتربى على أدبه وكتاباته .

وليس من قبيل الحدس والرجم بالغيب أن نقول العقاد.

« كانت الوصية الاولى لطالب الانشاء عند اساتذة اللغة العربية باجماع الآراء . اقرأ المنفلوطى واكتب على مواله (٢)

ولا بدع في ذلك فالمنفلوطي أوسع الادباء العرب شهرة وأسيرهم حديثا ، وأبعدهم أثرا وليس ذلك القـول مرده الاعجاب الذى يدفـع الي التحيز ، وانما الانصاف الذى مصـدره الامانة ولقد اعترف بذلك عالم فاضل هـو

---

(١) مجلة الثقافة (العدد) ٢٨ ص ١١ الاستاذ أحمد حسين .

(٢) المراجعات ص١٧٨

الاستاذ أحمد شاكر الكرمي . حين قال عن المنفلوطي « أوسع الكتاب المعاصرين شهرة » (١)

واذا كان الادب العربى الحديث قد حظي بباقة من الذين يجيدون التحبير ويتفوقون في صناعة الكلام . واذا كان فيه من الاسماء الذائعة ذات الشهرة والحظوة فوق القليل . فان الدراسة المتأنية الخالصة من كل مايشوب الابحاث من انتماء أو تحزب تشهد للمنفلوطى بعلو الكعب وارتفاع المنزلة وسموق المكانة . . ولذا فلقد أصاب المستشرق . كارل بروكلمان فى قوله .

« انه أشهر كتاب المقالات في القرن العشرين »

وبلغ من تأثيره فى الادب أن كاتبا باحثا فى مكانة الدكتور زكي مبارك لا يلجأ فى كتابته عن الامدى الى المراجع القديمة . وانما اعتمد على المنفلوطى في مختاراته . ونقل النص الذي أثبته المنفلوطى للامدى . واعترف الدكتور زكي مبارك بذلك فى كتابه (النثر الفنى فى القرن الرابع الهجرى) (٢) وغدا المنفلوطى مثلا يحتذى ، وقدوة يهتدى بها . ولم يقتصر أثره فى الادب على النثر . وانما أثر بشعره فى القراء . فخليم دوس يلقي فى الكنيسة الانجيلية بعالية لبنان عقب صلاة الاحد قصيدة المنفلوطي في بول وفرجينى (٣)

لكل ذلك كان المنفلوطى من أوائل الإدباء المصريين الذين عينوا أعضاء

---

(١) مجلة المجمع العلمي بدمشق (السنه الرابعة) سنة ١٩٢٤
(٢) النثر الفنى ج ٢ ط الدار القومية .
(٣) الكواكب والمواكب ص ٤٥ محمد محمد عبد الحميد .

بمجمع دمشق العلمي ورغم الحملات الطائشة التي صوبت سهامها مسمومة الى أدب الرجل فان المنفلوطي ظل ـ وسيظل اللحن العربي الذي يعزف فيثير كوامن النفس ، ويترنم فتصدح الكلمات بأعذب المعاني ، وصدق شفيق جبري حين قال في رثائه .

أمـــير البيان ورب الفرر	بكت لهـدوئك آي السور
مشى وترامى اليـــك البيان	يبثك من أمزه ما أســـر
تغلغل وحيـك في القوطتين	ودب الى كل قلب أثـــر
فلم تفجع النيـل من دوننـا	ولكن فجعت بقايا مضـــر

وعسى أن أكون قد وفقت في كتابة شيء عن ذلك العملاق الذي أثرى أدبنا العربي وملأ وجداننا وأحيا الجملة القرآنية في وقت تجمعت فيه نذر الشر . وتفاقم فيه الخطب فكان المنفـلوطي رمز اللغة وسياجا لجمـــالها ، ومعرضا لحلاها . . .

عباس بيومي عجلان

نتائج البحث

أولا ـ المنفلوطى أديب مصرى فيه سمات المجتمع المصرى وتتوفر لديه من الخلال البيئية والصفات الخاصة مالا يتوفر لكثير من الأدباء . وقد عرفنا ذلك فى نسبه ونشأته وبيئته .

ثانيا ـ يتمثل في المنفلوطى الأدب العربى خير تمثيل ويظهر ذلك فى اللغة التى صاغ بها فكره والموضوعات التى عالجها .

ثالثا ـ المنفلوطى أديب مسلم بكل ما تحمل عبارة مسلم من معنى، ولربما كان المنفلوطى التعبير الأدبى عن أفكار الامام محمد عبده فتصحيح العقيدة ومحاربة البدع والاهواء ومهاجمة التصرف المزيف والسخرية من تجار الدين والمتنفعين به كل ذلك تجده واضحا جليا فى أدب المنفلوطى .

رابعا ـ كان أدب المنفلوطى خير رد على مايشاع حول الأدب العربى من تخلف ورجعية وجمود وكان أدبه ولحه يؤ عليها من اعياه وهج الحياة الأدبية وما رانت على صدره الهموم والملمات .

خامسا ـ كان ادب المنفلوطى ذا رسالة وموضـوع ولم يكن أدبا انطباعيا صرفا ، وانما كان يكتب للناس لينفعهم لا ليعجبهم كما قال المنفلوطى عن نفسه ـ وقد بينا ذلك .

سادسا – اثر المنفلوطي في الأدب العربي الحديث تأثيرا كبيرا في الفكر والاسلوب . ولم يقتصر تأثيره على صغار الكتاب وانما تأثر به كبارهم وترك بصمات واضحة على صفحة الادب العربي ربما لم تتح لأديب مثله .

سابعا – لم ينل المنفلوطي ما يستحق من اشادة ، وما يستأهل من تقدير وظل المرجفون يقصرون تفوقه على النشاط اللفظي فقط زاعمين أن ذلك يشيد بغيره ، وينتقص من شأنه ، ولكننا بينا أن المنفلوطي تفوق في الجانب الموضوعي والفكري وعالج كثيرا من المشكلات ، وكان أدبه مرآة لما يعانيه قومه ، وما يعتمل في نفوس مواطنيه .

ثامنا – أدب المنفلوطي أدب غني ثري ذو جوانب متعـــددة واتجاهات مختلفة ولقد عالج كثيرا من المشكلات التي تعاني منها مصر ، مثل التعليم ، والمرأة ، والمسرح ، والعادات والتقاليد .

بعض المراجع

١ ـ ديوان الكاشف تقديم المنفلوطي

٢ ـ الأدب العربي المعاصر في مصر تقديم دكتور شوقي الخفيف ص ٢٧٧

٣ ـ المحافظة والتجديد في النثر العربي المعاصر أنور الجندي

٤ ـ المنفلوطي حياته وأدبه رسالة ماجستير د. محمد أبو الأنوار

٥ ـ الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر دكتور محمد حسنين

٦ ـ تراجم مصرية وغربية دكتور محمد حسنين هيكل

٧ ـ تطور الصحافة العربيه دكتور ابراهيم عبده

٨ ـ زعماء الاصلاح أحمد أمين

٩ ـ المرأة الجديدة ـ قاسم أمين

١٠ ـ الفن القصصي في الأدب المصري الحديث دكتور محمود شوكت

١١ ـ تطور الروايه العربية دكتور عبد المحسن بدر

١٢ ـ الأدب المصري الحديث دكتور القط

١٣ ـ مطالعات في الكتب والحياة العقاد

١٤ ـ مراجعات في الأدب والفنون

١٥ ـ أوقات الفراغ هيكل

١٦ ـ الأعـــلام للزركلـــى
١٧ ـ أدب المقالة الصحفية دكتور عبد اللطيف حمزه
١٨ ـ من حديث الشعر والنثر دكتور طه حسين
١٩ ـ حديث الأربعاء
٢٠ ـ النثر العربى المعاصر فى مائة عام أنور الجندى
٢١ ـ الشرق في فجر اليقظة « «
٢٢ ـ اعلام وأصحاب أقلام « «
٢٣ ـ النثر العربى المعاصر « «
٢٤ ـ الصحافة السياسية فى مصر « «
٢٥ ـ التطور فى الشعر العربى الحديث دكتور ماهر حسن (٩٢٩٧ ب مكتبة نهضة مصر ١٩٥٨
٢٦ ـ فيض الخاطر د. أحمد أمين (٩٥٦٦)ب
٢٧ ـ الاعلام للزركلي ج ٨ (٩٦٧٦ب) طبعة ثانية
٢٨ ـ زعماء الاصلاح في العصر الحديث أحمد أمين (٢٦٨١) مكتبة النهضة
٢٩ ـ معالم التطور الحديث في اللغة العربية د. محمد خلف الله أحمد طبع عيسى البابي الحلبي
٣٠ ـ مبادىء النقد الأدبى ١٠١ رتشاردز
٣١ ـ العناصر الابداعية للعمل الفنى دكتور مصطفى سويف

٣٢ ـ منهج البحث فى الأدب انسون ترجمة الدكتور محمد مندور
٣٣ ـ وحى القلم مصطفى صادق الرافعى
٣٤ ـ جدد وقدماء مارون عبود
٣٥ ـ مجددون ومجترون « «
٣٦ ـ الديوان المازنى والعقاد
٣٧ ـ الدوريات التى ورد ذكرها بالهوامش .

كتب تحت الطبع ومخطوطه:

أولا : الأبحاث والدراسات :

١ ـ جهود الرافعي في الدفاع عن الإسلام . حصـــل على جائزة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

٢ ـ الالتزام في الأدب . جائزة المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب .

٣ ـ مكارم أخلاق الرسول .

٤ ـ الزبـــد . دراسات أدبية ومقالات نشرت بالمجلات الأدبية .

٥ ـ ابن شهيد الاندلسي ورسالته التوابع والزوابع .

ثانيا : الشعر :

١ ـ من وحي الضياع مجموعة قصائد

٢ ـ الظمـــأ « «

٣ ـ ترام رقم ٦ ـ مسرحيـــة شعرية

٤ ـ أشـــلاء مجموعة قصائد

٥ ـ البدايـــة مسرحية شعرية عن حرب اكتوبر ، حازت على جائزة لمجمع اللغة العربية ١٩٧٥م . ومهداه إلى سيدة مصر الأولى جيهان السادات

العنوان : ٢٣ شارع عبس ، محرم بك . الاسكندرية

الخطأ	رقم الصفحة	الصواب
عن جاه	٥	على جاه
حي	٥	حتى
أن تلك	٦	أن لتلك
بطيء	٦	بطء
كأنى « البيت	٨	عجزه محذوف
إذا ما مشى	٨	صدره محذوف أخو مائة يمشى الهوينا
أجلست	٩	جلست
١٩١٩	٩	١٩٠٩
الجسن	١١	الجن
آثر	١١	آثر
ملأ بين	١٢	ملأ ما بين
يوقفون	١٢	يوقعون
أشباح	١٤	أشياخ
بمقاس	١٤	بمقياس
يوقفه	١٥	يوقفه على
بهزج	١٥	بهزج
النثىء	١٦	النشء
إلا	١٦	ألا
الأبيه	١٦	الأدبية
بعض	٢٠	يعض

الخطأ	رقم الصفحة	الصواب
بالتوقيع	٢٠	بالتوقع
اسماعيل صدقى	٢٠	اسماعيل
ويذلل	٢٣	ومذلل
نحو	٢٤	نحر
بإرشاف	٢٤	بارتشاف
الذى مهد	٢٤	بعدها سطر ساقط
المسجد	٢٥	المجد
١١١٧م	٢٦	١١١٧هـ
ببيه	٢٨	مبثوثة
مثلا	٢٨	مثل
مائلا	٢٢	حائلا
طبعة	٣٢	طبقة
نماذجه اللون	٣٣	نماذجه
واختارا	٣٤	واختار
وفاء	٣٤	وفا
ومثيرة	٣٦	مثيرة
(٢) مقال للمنفلوطى الخ	٤٠ هـ	شرح ديوان الحماسة للمرزوقى ص ٥
الفصل الثانى	٤٦	الباب الثانى
أمس	٤٦	فى أمس
يترسمه	٤٧	يترسمه

الخطأ	رقم الصفحة	الصواب
يقع	٤٩	يقبع
حياته	٥١	حياله
تخلق	٥١	تتلق
مما رأينا	٧٩	مما ران
يطيق	٨٢	يليق
ضر	٨٤	ضرا
وجدت	٨٤	ولا وجدت
كقرب	٨٥	كفر
الكفر	٨٥	الكافر
ورساءها	٨٦	ورؤساءها
ونعومته	٨٦	ونعوته
سوء	٨٦	شيئاً
محاولة	٨٧	محاورة
تنتصع	٨٧	تنتصح
النمو	٩١	النحو
دانت	٩٩	دارت
الترقيم (١)	٩٩	في ص ١٠٠ رقم ١ فى السطر الثالث
الترقيم(١) و(٢)	١٠٠	٢ ، ٣
سطع	١٠٠	سطع فى
وركالة	١٠٠	وركاكة
سعيد	١٠٢	سيبيد
التلقنين	١٠٦	المتلقين
حيناً	١١١	حينما
يبدى	١١٣	يتبدي
الابجاه	١١٣	الاتجاه
ومن الدارسين	١١٨	أن توضع بعد ممزوجاً بالتراب ص ١١٩
القصيدة	٢٢١	العقيدة
معونة	١٢١	معونته
أقرب	١٢١	أقرب إلى
المازى	١٢٤	المازل
أن يتخذه	١٢٤	أن يتخذه ردءا
ذرقهم	١٢٥	أذقانهم
لخطأ بهن	١٢٧	لحطابهن
النكرة	١٣٠	المتكرة
بألفاظ	١٣١	وألفاظ
الذكر	١٣١	الذى
وبالعدوى	١٣٥	وما العدوى
وغات	١٣٩	وغلبت
سيطروا	١٤١	سيطرا
ولا يقال	١٤٣	الإيغال



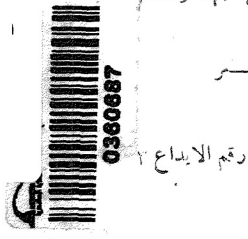
هذا الكتاب جدير بالقراءة ، لأنه يميط اللثام عن رجل من رجالات النهضة الحديثة ، لم يسلم - رغم ماقدم من التجريح والتجاهل . وهو يثير بعض القضايا التي تحتاج إلى مراجعة وتثبت . ويعبر في صراحة وصدق عن مواقف أدبية في أمس الحاجة إلى إعراب وجرأة . .

والمؤلف أديب شاب من الذين لا يتخذون الأدب تزجية للفراغ . لا مأربا لذي سلطة ، ولا تزلفا لقضاء وطر . . !

وهو من الشباب المكافح العصامي المؤمن الذي يرى أن الأدب رسالة للحياة ، واستيعاب للحضارات ، وكشف لمجاهل النفس والمجتمع . .

ولسوف تعثر في هذا الكتاب على طريف يفيد ، وأسلوب بعيد للعربية بعض مالها ، ويحترم القارىء إذ يقدم له بحثا فيه من الجهد والتمتع بالقراءة ، ويبتغي من ورائه النفع ؟

الناشــــر



الثمن ٥٠ قرشاً

رقم الايداع ٢